

أسرار اعتذار أبي يعقوب المنصور الموحدى
عن عدم تلبية استغاثة صلاح الدين الأيوبي
(٥٦٧ هـ - ٥٨٩ هـ / ١١٧٢ - ١١٩٣ م)

إعداد

دكتور / خلف عبد العليم إسماعيل

مدرس بقسم التاريخ والدراسات الاجتماعية
كلية التربية بالوادي الجديد - جامعة أسبوط

مقدمة:

في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نشطت
المواجهة المسيحية ضد المسلمين فكان من نتائجها سقوط صقلية في يد
الرومان عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م وسقوط مدينة طليطلة في يد نصارى أسبانيا
عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م. وشجعت هذه الانتصارات الغرب المسيحي علي
التوجه إلى الشرق الأدنى الإسلامي خاصة بعد استغاثة الإمبراطور البيزنطي
بهم فأستولوا علي بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م وأنشأوا أربع إمارات
صليبية في بلاد الشام. وأدي هذا إلي اتساع نطاق المواجهة بين القوي
الإسلامية والقوي المسيحية. وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه
الانتصارات أدت إلى حفز همم المسلمين والتصدي لهذه الهجمات الصليبية
ففي المغرب الإسلامي ظهر المرابطون وجازوا إلي بلاد الأندلس حيث نجح
زعيمهم يوسف بن تاشفين في تحقيق انتصارا باهرا علي نصارى الأندلس في
معركة الزلاقة الحاسمة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ وتابع الموحدون بعد سقوط دولة

المرابطين هذه الانتصارات التي كللت في عهد المنصور الموحي^(١) بالانتصار العظيم علي نصارى الأندلس في معركة الأرك عام ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م.

أما في بلاد المشرق الإسلامي تغير ميزان المواجهة الإسلامية ضد النصارى فحقق الزنكيون.

انتصارات عظيمة حققوها علي الصليبيين حيث نجح بطل الجهاد الإسلامي عماد الدين زنكي في استرداد مدينة الرها عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٤ م وتابع الأيوبيون من بعد الزنكيين حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بقيادة بطل الجهاد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي الذي توج بانتصاره علي الصليبيين في معركة حطين الحاسمة واسترداد بيت المقدس ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م. والحق يقال أنه بوصول صلاح الدين الأيوبي الذي كان يتابع حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين باسم الخلافة العباسية سدة الحكم وبتولي يعقوب المنصور منصب الخلافة الموحدية أخذ الصراع بين الإسلام والمسيحية شكلا أكثر جدية وبدأ المسلمون يكيلون اللطمات لخصومهم المسيحيين في كل من بلاد الشام والأندلس. فهل حاولت أكبر قوتين إسلاميتين معاصرتين في ذلك الوقت تنسيق الجهود والتعاون بينهما ؟

(١١) يعقوب المنصور: هو أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب كان أسمر اللون ضخم الهامة معتدل الجسم متناسب الأعضاء سبط الأنامل وسط اللحية قد غلب الشبيه علي مقدمته وكان شجاعا مقدما عظيم العزيمة علي أعدائه لا تضيق عنده فضيلة أحد من رجاله ولا يغيب عنه شيء من أحاول رعيته ولا يجترئ أحد علي مخادعته وكان يحب الصالحين ويدني مجالسهم وإن مولده كان في قصر جده عبد المؤمن في مدينة مراكش عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م (انظر ابن عذاري): البيان المغرب ج٢ ص ٧٤، ابن أبي زرع أبو الحسن علي ابن عبد الله: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: دار المنصور بالطباعة بالرباط ١٩٧٣.

وتشير المصادر التاريخية إلى أنه قد تم في الفترة التاريخية ٥٦٧ - ٥٨٩ هـ / ١١٧٢ - ١١٩٣ م اتصال المغرب الإسلامي بالمشرق الإسلامي فعندما كان صلاح الدين الأيوبي في غمرة الحروب الصليبية وعندما كان محاصرا للصليبيين في عكا فكر جيدا في أن يستجد ويستعين بـيعقوب المنصور الموحدي الذي كان هو الآخر يقود حربا لا هوادة فيها ضد النصارى في بلاد الأندلس لا تقل في ضراوتها عما كان يواجهه صلاح الدين في المشرق الإسلامي ليمده ببعض القطع البحرية من الأسطول الموحدي لما للبحرية الموحدية من أهمية عظمى ولما كان للبحارة الموحدين من شهرة واسعة في ذلك الوقت فهل استجاب يعقوب المنصور لهذا الطلب ؟ ولماذا ؟

ويهدف هذا البحث الإجابة عن هذا السؤال وذلك في إطار منهج يقوم علي استقراء الأحداث التاريخية واستخراج المعلومات الدقيقة ومحاولة إيجاد العلائق بين الحقائق التاريخية.

وقد أشتمل هذا البحث علي مقدمة وعدة مباحث هي: المبحث الأول جعلته بعنوان الدوافع الرئيسية وراء طلب صلاح الدين الأيوبي بطل الجهاد والإسلامي ضد الصليبيين المعونة والمساعدة من أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي. والمبحث الثاني جعلته بعنوان القطع البحرية الموحدية ودورها في الجهاد الإسلامي ضد السفن النصارانية. والمبحث الثالث جعلته بعنوان المراسلات المتبادلة بين صلاح الدين وأبو يعقوب المنصور (تاريخها ومضمونها)

٤- المبحث الرابع جعلته بعنوان أسباب عدم تلبية أبو يعقوب المنصور لصريخ صلاح الدين الأيوبي .

وأخيرا الخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

وقد اعتمدت في هذا البحث علي مصادر أساسية مثل (الكامل في التاريخ الجزءان الحادي عشر والثاني عشر) طبعة ببوت ١٩٨٢ م لأبي

الحسن علي بن الأثير، وكتاب النوادر السلطانية، والمحاسن اليوسيفية، تحقيق جمال الدين الشيال، طبعة الإسكندرية ١٩٦٤ م لبهاء الدين بن شداد، وكتاب البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد ابن عذاري - القسم الثالث الخاص بالموحدين نشره هوتيس ميرانرا مع مساهمة محمد ابن تاوويت الطنجي ومحمد الكتاني ١٩٦٠. وكتاب الروض المعطار في خير الأقطار تحقيق (إحسان عباس) لمحمد بن عبد المنعم الحميري (بيروت ١٩٧٥ م كتاب تاريخ المن بالإمامة الجزء ٢، عبد المالك بن صاحب الصلاة الجزء ٢ تحقيق عبد الهادي التازي. بيروت عام ١٩٦٤ م. وكتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الجزء الثاني لأبي العباس أحمد السلاوي تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء ١٩٥٤ م). وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٥٩ م - وكتاب المقدمة القاهرة بدون تاريخ لعبد الرحمن ابن خلدون، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية والجزءان ١، ٢ بيروت بدون تاريخ، وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لأحمد أب ابن زرع القاسي - الرباط ١٩٧٣ م. وقد لاقيت صعوبة بالغة في العثور على المصادر التاريخية واستخراج المعلومات فيها لأنها مبعثرة وغامضة داعيا المولي عز وجل أن يوفقنا إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

(الدوافع الرئيسية وراء طلب صلاح الدين النجدة من يعقوب المنصور)

بعد أن أحرز صلاح الدين الأيوبي النصر على القوات الصليبية في موقعه حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م اتجه إلى منطقة الساحل ليحرم القوات الصليبية من قواعدها البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي بهدف قطع خطوط إمداداتهم من جهة البحر ويربط بين خطوط مواصلاته البحرية السريعة وبين الشام ومصر من جهة أخرى ففتح عكا وعسقلان واستعصت عليه مدينة صور بسبب تحصيناتها القوية ووصول عدد كبير من الصليبيين الخارجين من المدن التي تمكن صلاح الدين من فتحها. وتمكن صلاح الدين من استرداد مدينة بيت المقدس من أيدي الصليبيين في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م^(١) ولما علم البابا أوربان الثالث بهذه الأخبار لم يتحمل الصدمة وكان مريضاً فمات في أكتوبر ١١٨٧ م وتولى بعده البابا جريجوري الثامن فأرسل إلي حكام الغرب الأوربي يدعوهم إلي بذل كل الجهود لمساعدة الممالك الصليبية والدعوة إلي فرض هدنة داخل أوربا لمدة سبع سنوات والدعوة أيضاً إلى الصيام والوعد لجميع الصليبيين بغفران الذنوب من أقوى الوسائل التي استخدمها الصليبيون في طلب النجدة من أوربا ما بعثوا به إلي الغرب الأوربي هي لوحة كبيرة بها صورة مدنية بيت المقدس وكنيسة القيامة وفيها ما قالوا أنه قبر السيد المسيح وصوروا عليه فرسا عليه فارس مسلم وقد وطئ هذا القبر^(٢) وغير ذلك مما أثار حماس الصليبيين المسيحيين وكان رجال الدين يحملونها وينادون بالويل فهاجت أعداداً غفيرة. ولكن البابا جريجوري لم يمهله

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية تحقيق جمال الدين الشيال، الإسكندرية ١٩٩٤ م ص ٨٢.

(٢) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج ٢ بيروت (بدون تاريخ) ص ١٣٦ د / سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤، د / محمود سعيد عمران. تاريخ الحروب الصليبية ص ١٤٧.

القدر كثيرا فقد توفي بعد شهرين تاركا المشكلة للبابا كليمنت الثالث ١١٨٧ - ١١٩١ م وقد قام البابا الجديد بإرسال مبعوثية للدعوة للحملة في جميع ربوع أوروبا وقد بذلوا جهودا كبيرة أدت في النهاية إلى خروج الحملة المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة التي خطيت بقيادات لم تتوفر لأي حملة صليبية أخرى حيث قادها أعظم ملوك أوروبا في ذلك الوقت.

وهم (الإمبراطور فريديك برباروسا الذي خرج عام ١١٥٢ - ١١٩٠ م من ألمانيا والملك فيليب أوغسطس ١١٨٠ - ١٢٢٣ م من فرنسا والملك ريتشارد قلب الأسد ١١٨٩ - ١١٩٩ م من إنجلترا) وقد وصلت أبناء هذه الحملة للسلطان صلاح الدين عن طريق صاحب القسطنطينية وثغور المغرب ونوابه في الإسكندرية. وبعد استرداد صلاح الدين للقدس كما نعرف عاد لمنطقة الساحل وحاصر مدينة صور من جديد فاستعصيت عليه فاضطر إلى استدعاء الأسطول المربط عندئذ بعكا لمحاصراتها فقدم في عشرة مراكب ودارت بالفعل معركة بحرية أمام أسوار المدينة كان للأسف الشديد النصر فيها حليف الصليبيين مما اضطر صلاح الدين لأن يصدر تعليماته لبقية قطع الأسطول بالاتجاه إلى بيروت^(١) ولا شك أن الهزيمة التي مني بها الأسطول الأيوبي أضعفت الروح المعنوية للقوات البرية ورفعت الروح المعنوية لقلول الصليبيين المحتشدة في صور فصاروا يخرجون من حين لآخر لمنازلة القوات الإسلامية مما اضطر صلاح الدين إلى الانسحاب جنوبا إلى عكا الذي كان يربط فيها الأسطول فوصلها واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش^(٢) وأمرهم بتجديد أسوارها وترتيب أمورها وحشدتها بالأسلحة والمؤن^(٣).

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٥٧، السيد الباز العريني: الأيوبيين ص ١٨٦، أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٣٨٣.

(٢) بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين في مصر وكان في الأصل مملوكا لعمه أسد الدين شريكوه (أنظر الدكتور / أحمد مختار العبادي): في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠٦.

(٣) (القلقشندي: صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧، أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٥٧.

وفي هذه الفترة تمكن الصليبيون في صور من جمع فلولهم تحت قيادة جاي دي لوزجنان).

واتجهوا إلى محاصرة عكا في ١٢ رجب ٥٨٥ هـ / ٢٨ أغسطس ١١٨٩م وازدادوا حماسا بما كان يتقاطر عليهم من مساعدات من جانب الصليبيين في الغرب والذين جعلوا من صور مركزا لتجميع إمداداتهم ثم التحرك لمساعدة القوات الصليبية المحاصرة لعكا. (١)

كانت عكا هدفا للعمليات الحربية الصليبية بسبب موقعها وقوة حاميتها وقد تعرضت عكا لخطر الأساطيل الأوربية الغربية الوافدة تباعا من أوروبا والتي قصرت مهمتها في مراقبة المنافذ المؤدية إلى ميناء المدينة وإمداد القوات البرية الصليبية المحاصرة لعكا بالمؤن الضرورية معتمدة علي قواعدها في صور وطرابلس. ويصور لنا ابن الأثير ما لقيه الصليبيون في زحفهم علي عكا بسبب سيطرة المسلمين علي المدن والمعقل والحصون الواقعة في الطريق مما اضطر الصليبيين إلى التزام جانب البحر فحين سارت سفنهم علي مرأى منهم تحمل أسلحتهم وزادهم. ولو تنبه المسلمون لخطر تلك الجموع الصليبية وحاصروها عند ممرات الإسكندرية أو عند النواقر لقصوا

(١) كان صلاح الدين قد وعد أكثر من مرة بإطلاق سراح (جاي دي لوزجنان) ملك بيت المقدس الذي أسر في حطين فأرسلت إليه الملكة سبيل زوجه جاي التي كانت قد نزحت إلي طرابلس ترجوه تحقيق وعده وعندئذ غلبت علي صلاح الدين روح الشهامة والمروءة والوفاء بالعهد وهي الصفات التي تحلي بها دائما في جميع تصرفاته مع الصليبيين في الوقت الذي لم يعرف خصومه في معاملاتهم معه سوي الغدر والخيانة ونكت العهود. وكان إفراج صلاح الدين فورا عن جاي دي لوزجنان في يولييه ١١٨٨م ومعه عشرة من أعيان أسري الصليبيين ليكونوا رفقاء وبطانة له وقد اكتفي صلاح الدين عن إطلاق سراح الملك بأن تعهد له (جاي) بالا يشهر في وجهه سيفا أبدا وعدم محاربة المسلمين غير أن جاي لوزجنان لم يلبث أن نزح إلي صور مؤملا أن يتولى زعامة القوات الصليبية في حربها ضد المسلمين (انظر ابن شداد النواذر السلطانية ص ١٥٣ د / سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة التاسعة ٢٠١٠ م ص ١٢٢ - ١٢٣)

عليها قبل أن يستفحل خطرهما^(١). ولكن صلاح الدين كان مشغولا عندئذ بمنازلة (قلعة الشقيف أرنون) وعندما سمع صلاح الدين بأن جاي دي لوزجنان في طريقة علي رأس بعض الجموع الصليبية إلى عكا لم يصدق الخبر، وظن أن في الأمر خدعة لحملة علي ترك (الشقيف أرنون)، ولم ينتبه إلي حقيقة الأمر إلا بعد فوات الأوان عندما ما اقترب الصليبيون من عكا فعلا. كان أن استدعي صلاح الدين بعض القوات الإسلامية من الجليل ودارت معارك ضاربة بين المسلمين المحاصرين للصليبيين بقيادة صلاح الدين. اضطر صلاح الدين علي أثرها الانسحاب إلي مكان داخلي بعيد عن عكا يسمى بالخروبة علي بعد ١٦ كيلو متر إلي جنوب الشرق من عكا^(٢) وقد أفاد الصليبيون من هذا الانسحاب فيما يبدو إذ شددوا الحصار علي المدينة وقطعوا الطرق المؤدية إليها. مما اضطر صلاح الدين في أواخر ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م إلي استدعاء قواته البحرية المرابطة في مصر فوصل منها خمسون مركبا بقيادة (حسام الدين لؤلؤ) قائد الأسطول. ويؤكد ابن الأثير وعماد الدين الكاتب أن صلاح الدين أراد أن يقضي علي الصليبيين أثناء زحفهم من صور إلي عكا عند المضيق ولكن أمراءه عارضوه في ذلك وقالوا بل نطلبهم طلب الغريم وأنه من الأفضل مهاجمة الصليبيين أمام عكا ليقعوا بين جيوش صلاح الدين من ناحية وحامية المدينة الإسلامية من ناحية أخرى وبذلك ارتكب المسلمون غلطة استراتيجية كبرى ولاسيما أن الملك (جاي دي لوزجنان)

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث ٥٨٥ هـ. د/ سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ - ١٣٠، ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١٦٠ - ١٦١، د/ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣.

واتفق مع (كونراد مونقترات) وصفا ما بينهما من خلافات واجتماعا لمحاربة المسلمين. (١)

مهما يكن من أمر فإن جاي دي لوزجنان أقام معسكرة علي مقربة من عكا فوق تل المصلين شرق المدينة ثم لحق به صلاح الدين بعد ذلك بيومين ٢٩ أغسطس ١١٨٩م فعسكر علي مقربة من الصليبيين علي (تل كسيان وتل العياضية) ولقد كان من المؤكد أن يتمكن صلاح الدين من سحق تلك الشرازم الصليبية في سهولة تامة لو لا وصول بشائر الحملة الصليبية الثالثة من الغرب الأوربي مما أمد الصليبيين أمام عكا بقوة كبيرة غيرت الموقف تغيرا تاما ذلك البيازنه والجنويه كانوا متعاضدين في حرب عندما سمعوا دعوة البابوية للحملة الصليبية الثالثة أسرعوا إلي عقد صلح وإعداد أساطيلهم للرحيل إلى الشام لمحاربة المسلمين وبالفعل وصل في شهر أبريل ١١٨٩م إلي صور للمشاركة في حصار عكا أسطول بيزي كبير من اثنين وخمسين سفينة تحت قيادة (ابوبالدو) رئيس اساقفة بيزا ولم يلبث أن توافدت بعض أساطيل جنوه والبندقية فضلا من الأساطيل التي وفدت من الغرب الأوربي عبر مضيق جبل طارق. حتى قدر بعض المؤرخين الجموع الصليبية التي احتشدت أمام عكا في سبتمبر ١١٨٩م بأكثر من عشرين ألفا وفي آخر ذلك الشهر حضر كونراد دي مونقترات هو الآخر علي رأس قواته من صور وبذلك تهيأ الجميع للثأر مما حل بالصليبيين علي يد صلاح الدين في حطين. (٢)

علي أن صلاح الدين لم يظل ساكنا طوال تلك المدة حتى تكتمل الجيوش الصليبية وإنما تشير المصادر التاريخية إلي أنه بدأ هجره الأول

(١) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٤٨، ابن الأثير: الكامل حوادث ٥٨٥ هـ، د / سعيد عاشور

الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١٦٥ ابن الأثير: الكامل (حوادث ٥٨٥ هـ)، عماد الدين الكاتب،

الفتح القسي ص ١٥٢.

علي القوات الصليبية الموجودة أمام عكا في منتصف سبتمبر ١١٨٩ م واستطاعت جيوشه في الهجمات التالية أن تنزل بصفوف الصليبيين خسائر جسيمة^(١) ولم يثبت أن ساء موقف الصليبيين علي كثرتهم أمام عكا نتيجة لهجمات صلاح الدين وضرباته القوية حتى أصبحوا وهو الذين أتوا للحصار محاصرين فعلا بين القوات الإسلامية داخل عكا وقوات صلاح الدين خارجها. ثم كان أن انتشر وباء في المنطقة نتيجة لكثرة جيف القتلى من الفريقين فحدث للأمزجة فساد وانحراف مزاج صلاح الدين. الأمر الذي جعل الأمراء يشيرون عليه بضرورة الابتعاد بقواته من تل كسيان إلى الخروبة.^(٢)

ولا شك في أن الصليبيين أفادوا من تلك الحركة والسبب في ذلك أن صلاح الدين كان هو في تل كسيان علي اتصال بقواته في عكا أما وقد بعد إلي الخروبة فقد أصبح في استطاعة الصليبيين الإحاطة بعكا إحاطة تامة وشرعوا في حفر خندق علي معسكرهم حول عكا. وهكذا طالت الحرب أمام عكا واتخذت طابع حرب الخنادق^(٣) مما اضطر صلاح الدين في أواخر عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م إلي استدعاء قواته البحرية المرابطة في مصر فوصل منها خمسون مركبا بقيادة حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول وصاحب الانتصارات البحرية علي قراصنة الصليبيين في البحر الأحمر. وفي هذا الصدد يقول أبو شامة (وكان السلطان قد كتب إلي مصر يستدعي بأخيه العادل في رجال فقدم عليه في منتصف شهر ذي القعدة ٥٨٥ هـ ٢٥ ديسمبر ١١٨٩ م).

وقد اتخذ الأسطول من حيفا جنوب عكا مرفأ له بسبب اشتداد خطر الصليبيين علي عكا^(٤) واضطر العادل أخو صلاح الدين إلي المرابطة في

(١) ابن شداد النوادر السلطانية ص ١٦٥، ابن الأثير حوادث ٥٨٥ هـ.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) المقرئزي: السلوك ج ١ ص ١٠٢.

(٤) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص - ١٤٨ - ١٤٧، المقرئزي - السلوك ج ١ ص ١٠٢.

الميناء من أجل الأشراف علي الأسطول. وعلي الرغم من كل ذلك فإن مركز الصليبيين ظل قوياً لتفوقهم البحري من ناحية وكثرة أعدادهم من ناحية أخرى فقد تعزز جانب القوات الصليبية بما وفد إليهم من بقايا الجيش الألماني الذي وصل إلي أسيا الصغرى في هذه الفترة، وفي بداية ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م^(١) أشد حصار الصليبيين علي عكا بسبب كثرة الوافدين من أوروبا ووصل أسطول ريتشارد الأول المكون من ١٣٠ قطعة بحرية والذي قدم المساعدة لملك البرتغال.

وهو يحاصر مدينة شلب عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م حيث وصلت بعض قطعة إلي بلاد الشام لمساعدة الصليبيين هذه السنة. لذلك لم يجد صلاح الدين بدأ من دعوة كافة حكام المسلمين في المشق والمغرب لمشاركته في الجهاد فأجتمع لديه في أبريل ١١٩٠ م عماد الدين الأرتقي صاحب دارا والشريف فخر الدين مبعوثا من الخليفة العباس ببغداد ومعه بعض آلات الحصار والحرب وفي الشهر التالي وصل إلي صلاح الدين الأمير عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ومعر الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الجزيرة وهو ابن أخي عماد الدين بطل الجهاد الإسلامي فضلاً من علاء الدين خرم شاه بن مسعود صاحب الموصل نائباً عن أبيه وزين الدين يوسف صاحب أربل.^(٢)

ولا شك أن تحالف هؤلاء الأمراء جميعاً من بقايا البيت الزنكي مع صلاح الدين الذي طالما نكل بأفراد ذلك البيت يدل علي وعي إسلامي عام وعلي استعداد حكام المسلمين عندئذ لتتاسي ما بينهم وبين بعض من خلافتهم وحزازات لمواجهة خطورة الموقف. ويذكر ابن شداد أن صلاح الدين فرح

(١) د / سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث ٥٨٥ هـ، ابن شداد: النواذر السلطانية ص ١٨٨.

فرحا شديداً بقدم أولئك الأمراء والملوك من أبناء البيت الزنكي ولقيهم بالاحترام والتعظيم وإكرامهم إكراماً فائقاً^(١).

وعلى الرغم من ذلك فإن مساعدة الخلافة العباسية في بغداد لم تتعدى ما يورده أبو شامة في قوله (وصل رسول الخلافة.... وصل معه حملان من النفط الطيار (نوع من نابالم القنابل المحرقة كانت تستعمل في القرن الثاني عشر) وحملان من القنا الخطار^(٢)) وتوقيع (صك) بعشرين ألف دينار يفترض علي الديوان العزيز من التجار وخمسة من الرزاقين والنفاطين.^(٣)

والحق يقال أن مساعدات الخلافة العباسية لم تكن مرضية لدي صلاح الدين إذ أنه رد الجانب المالي منها وبعث صلاح الدين لأخيه في اليمن ينهي إليه الحال ويطلب منه لمساعدة بالمال. ثم أن صلاح الدين لم يكتف بطلب المعونة من حكام المشرق الإسلامي بل أرسل سفارة إلى الموحدين في المغرب بطلب المساعدة من إلي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وقد قال صلاح الدين في رسالته بأنه من الواجب أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين.... كذلك رأي صلاح الدين أن لا يقف دور ملك المغرب علي تقديم المساعدة بل طلب منه أن يقطع عنهم (الصلبيين) مادتهم من جهة البحر أي بمعنى أن يقوم ملك المغرب بقطع الطريق عن السفن الأوربية التي تقوم بإمداد الصليبيين في الشام بما يحتاجون إليه من مؤن وإمدادات^(٤).

هكذا سارت الحرب بين المسلمين والصلبيين سيرا بطيئاً أمام عكا دون أن تنتهي إلى نتيجة حاسمة ولم يكتفي صلاح الدين طول تلك المدة عن

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١٨٩، سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٥٢، ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١١٩.

(٣) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٥٢، ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٧١ ويشير أبو شامة إلي أن سلطان المغرب لم يرسل أية مساعدة لصلاح الدين لأنه عز عليه كونه لم يخاطب بأمر المؤمنين علي جاري عادتهم.

تشجيع الجند ووعدهم بالوعود الجميلة فظل يحثهم علي الجلاء والجلد، وادي جمود الموقف وكثرة القتلى في مكان محدود إلي انتشار الوباء واشتداد أزمة التموين في المعسكرين سواء وكانت مدينة عكا بالذات بحكم وقوعها تحت ضائقة الحصار أشد تعرضا للمجاعة وإحساساً بوطأتها^(١)

وأثناء هذه الضائقة التي تعرضت لها عكا ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م قام أمير بيروت بإعداد بطسة كبيرة وشحنها بالمؤن والعتاد وأركب بها المسلمين وتزينوا بزى الإفرنج وأدخلوا معهم الخزائير حتى يتمكنوا من الوصول إلي عكا وذلك بسبب شدة حاجة أهلها للمؤن. وكانت قطع الأسطول المرابطة بالإسكندرية تقوم بنفس الدور الذي قامت به بيروت.

وتشير المصادر التاريخية إلي أنه في شهر سبتمبر ١١٩٠ م نجحت ثلاث سفن (بطس) مصرية ضخمة في اقتحام ميناء عكا ليلاً وكانت مشحونة بالآقوات والآدم وجميع ما يحتاج إليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول فصل الشتاء^(٢) وهذا بالإضافة إلي أنه قد ظهرت في هذه الفترة بطولات فردية عظيمة فقد قام الضفدع البشري عيس العوام عدة مرات باختراق الحصار المضروب علي مدينة عكا وتمكن من توصيل الكتب بين صلاح الدين وحامية المدينة الإسلامية مما جعل صلاح الدين يعزز حاميته^(٣) ويقول ابن شداد (وإخراج من كان بها من الأمراء لعظم شكائهم من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر وملازمة القتال ليلاً ونهاراً وكان مقدم البذل الداخل لأمراء

(١) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٥٨ وقد ذكر عن قتلي الصليبيين أنهم كانوا مفرشين في مدي فرسخ علي الأرض وهو تسعة صفوف من تلال الرمل إلي البحر بالعرض وكل صف يزيد علي ألف قتيل.

(٢) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٦١، سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٩.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ١٣٨ د/ محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية ص ١٥٣.

سيف الدين علي المشطوب دخل في يوم الأربعاء سادس عشر من المحرم ٥٨٧ هـ ١١ فبراير ١١٩١ م (١)

ويعلق ابن الأثير علي هذا الأجراء بقوله (وكان قد أشار جماعة علي صلاح الدين بأن يرسل إلى عكا النفقات الواسعة والذخائر والأقوات الكثيرة ويأمرهم بالمقام - فإنهم قد جربوا وتدريبوا واطمأنت نفوسهم علي ما هم فيه فلم يفعل وظن فيه الضرر والمال وأن ذلك يحملهم علي العجز والفشل فكان الأمر بالضد) (٢)

وزاد الموقف حرجا عند احتلال ريتشارد جزيرة قبرص في هذه السنة ومن ثم صارت قبرص قاعدة بحرية جديدة ومركزا لتموين الإمارات الصليبية في بلاد الشام وأثار ذلك موجة من الفرح والحماس في نفوس الصليبيين فشددوا هجماتهم علي عكا وتدعم حصار الصليبيين للمدينة بوصول فليب أغسطس ملك فرنسا في ربيع الأول ٥٨٧ هـ / أبريل ١١٩١ م وريتشارد في جمادي الأول ٥٨٧ هـ يونيو ١١٩١ م. ولم يستطع صلاح الدين الاتصال بحامية المدينة إلا عن طريق الحمام الزاجل. ولم يتمكن قطع الأسطول المرابطة في بيروت والتي استولت علي خمسة مراكب من أسطول ريتشارد من فك الحصار المضروب علي المدينة (٣) وربما كان في استطاعه الصليبيين أن يستولوا علي عكا في تلك المرحلة لولا صعوبة ظروفهم وعدم تعاونهم بسبب اختلاف طوائفهم وأصولهم ومشاربهم. هذا بالإضافة إلي ما نشأ عندئذ من خلاف شديد ونزاع مريع بين كونراد دي مونتفرات وجاي دي لوزجنان بسبب التنافس حول عرش مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك أن سييل ملكة بيت المقدس زوجة جاي دي لوزجنان ماتت أمام عكا في أكتوبر

(١) ابن شداد: النواذر السلطانية ص ١٣٨: ١٣٩، د / سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل حوادث ٥٨٧ هـ.

(٣) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٨٩.

١١٩٠م وبذلك صارت الوريثة لعرش المملكة هي أختها الأمير (إيزابيل) الابنة الثانية لعموري الأول ملك بيت المقدس الأسبق. ولم يكن لجاي دي لوزجان حسب قانون مملكة بيت المقدس أي حق شرعي في العرش بعد وفاة زوجته. لذلك أسرع الأمراء إلى تطليق الأميرة إيزابيل من زوجها الخامل (أو نفروي الرابع تورون) وتزوجها في نوفمبر ١١٩٠م من كونراد دي مونقرات وهو الرجل القوي الذي اعتقد الأمراء في كفايته وقدرته علي إحياء مملكة بيت المقدس^(١) ولا شك في أن هذا الأجراء لم يرضي عنه جاي دي لوزجان وشيعته مما أحدث انشقاقا خطيرا بين صفوف الصليبيين أمام عكا. (حتى هنا

ولولا وصول فليب أغسطس في إبريل ١١٩١م فجمع شمل الصليبيين تحت زعامته ووجه جهودهم جميعا لحرب المسلمين. وإذا كانت الحزازات والضغائن القديمة بين ملكي فرنسا وإنجلترا قد ظهرت بوضوح عندما اجتمع الطرفان أمام عكا فإن ذلك لم يحل دون توحيد صفوف الصليبيين للقيام بعدة هجمات قوية علي عكا في أواخر يونية وأوائل يولية ١١٩١م^(٢) وهنا يسجل التاريخ لعكا وحاميتها الإسلامية موقفا رائعا من مواقفها العديدة الشهيرة في التاريخ إذا استمرت صامدة في وجه ذلك الخطر الضخم وأظهرت حاميتها تحت قيادة قراقوش شجاعة تستدعي الإعجاب في حين ظل صلاح الدين يرقب الموقف من مراكزه ثم عند الحزوبة ثم العياضية. وعندما قام صلاح الدين بهجمات مضادة ضد الصليبيين ليصرفهم عن عكا لجأ الصليبيون إلي مهاجمة معسكر صلاح الدين في ٢٢ يونيه ولكنهم فشلوا في تحقيق أي هدف من ذلك الهجوم ولا أدل علي روح الفداء والشجاعة التي حارب بها المسلمون عندئذ من أن صلاح الدين أمر بتعبئة سفينة كبيرة بطسه في بيروت وشحنها بالآلات والأسلحة والمؤن والرجال لامداد حامية عكا عن طريق البحر ولكن السفينة الإسلامية لم تكد تصل إلي مياه عكا حتي حاصرتها

(١) د / سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) لين الأثير: الكامل حوادث ٥٨٥ هـ، بن شداد: النواذر السلطانية ص ٢٥٣.

سفن رتيشارد ملك انجلترا واحاطت بها من كل جانب^(١) وعندئذ رفض رجال السفينة الإسلامية الإستسلام وظلوا يقاتلون إربعين سفينة من سفن الأعداء حتي احرقوا إحداها. عندما ينس المقاتلون في السفينة من النجاة قال مقدمهم والله لا تقتل إلا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئا فاغرقوا سفينتهم وغرقوا جميعا وهم ستمائة وخمسون رجلا استشهدوا كراما .^(٢)

ولم تغلح الهجمات القوية التي شنها صلاح الدين علي جيوش الصليبيين في انقاذ عكا فساعت حالة الحامية الإسلامية داخلها. وجهت حامية المدينة النداء الأخير لصلاح الدين عن طريق الحمام الزاجل تعلمه بتسليم البلد بشروط مع الافرنج لم يلتزموا بها وكان أن بدأت المحادثات بين الطرفين لتسليم المدينة فذهب المشطوب الكردي^(٣) بنفسه إلي المعسكر لمقابلة ملك فرنسا والاتفاق معه علي شروط التسليم وعندما يتس صلاح الدين من قبضة عكا تدخل في المفاوضات التي ناب فيها الاستبارية عن جانب الصليبيين والعدل عن جانب المسلمين علي أن الصليبيين اشتطوا اشتطاطا عظيما وطلبوا ثمننا باهظا مقابل السماح لأهل عكا وحاميتها بالخروج سالمين اذ اشتراطوا ارجاع صليب الصلبوت وإعادة مملكة بيت المقدس إلي حدودها التي كانت عليها ١١٧٩م.^(٤)

ومن الواضح أنه كان من المتعذر عمليا تحقيق تلك المطالب اذ لم يكن من المعقول أن يتخلي صلاح الدين عن المكاسب التي حصل عليها بعد حطين بمثل تلك السهولة وكان أن تدخل (كونراد دي مونتفرات) وعقد اتفاقية مع حامية عكا دون

(١) ابن شداد: النواذر السلطانية ص ٢٦٠، بن واصل: مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٠، د / محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية ص ١٥٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥١ د / سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٣٢.

(٣) أسمة الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب (ابن الأثير الكامل حوادث ٥٨٧ هـ).

(٤) عماد الدين الكاتب: الفتح القسي ص ٢٨١.

موافقة صلاح الدين وقد نصت تلك الاتفاقية علي السماح لحامية عكا بالخروج مقابل فدية قدرها مائتا ألف دينار وتحرير ألفين وخمسمائة من أسري الصليبيين فضلا عن رد صليب الصلبوت ويروي لنا ابن شداد أن صلاح الدين عندما علم بأمر ذلك الصلح انكر ذلك أنكارا عظيما وعظم عليه الأمر. (١)

وهكذا دخل الصليبيون عكا في يولية ١١٩١م بعد أن حاصروها قرابة عامين الأمر الذي أثار موجة من الأس والحزن عبر عنها المؤرخون المسلمون وزاد من لوعه الأسى أن الصليبيين غدروا بوعدهم ونقضوا شروط الصلح فأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفاً. (٢)

والحق يقال أن سقوط عكا في أيدي الصليبيين كان ضربة قاضية قاصمة لصلاح الدين بسبب احتواء المدينة علي مؤن وأسلحة وفيرة أستولي الصليبيين عليها لا بل أن الصليبيين تمكنوا بعد أستيلاتهم علي عكا من الحصول علي مركز بحري ممتاز مما جعلهم يخططون للاتجاه جنوبا - وأضطر عندها صلاح الدين إلي تخريب عسقلان حتي لايتخذها الصليبيون قاعدة بحرية متقدمة تمكنهم من قفل الطريق بين الشام ومصر والتحرك للإستيلاء علي مصر ذاتها مركز تموين صلاح الدين وقواته. (٣)

علي أية حال هذه الانتصارات شجعت ريتشارد وجعلته يعمل علي الإستيلاء علي القدس إلا أنه فشل في مخططة هذا واضطر إلي عقد صلح الرملة مع صلاح الدين في شعبان ٥٨٨ هـ / سبتمبر ١١٩٢م واستخلص صلاح الدين أصحابه من الإسر وعلي رأسهم بهاء الدين قراقوش وزار بعض المدن الساحلية مثل صيدا وبيروت ورجع إلي دمشق التي وافاه بها أجله في ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ / ٤ مارس ١١٩٣ م.

(١) ابن شداد: النوار السطانية ص ٢٤٦.

(٢) المقرئزي: السلوك ج ١ ص ١٠٥.

(٣) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ٢٠٠ -- ابن شداد: النوار السطانية ص ٢٤٦

المبحث الثاني

أسطول الموحدين ودورة في جهاد المالك النصرانية الاسبانية والبرتغالية

ان معظم القطع المرابطية البحرية آلت إلي دولة الموحدين. وكان الأسطول المرابطي يقوم بمهام متعددة في كل من المغرب والأندلس ضد الخطر النصاري وذلك بسبب ما كان يتمتع به من قوة وعدة وعلي سبيل المثال فقد بعث المرابطون ٣٠٠ قطعة من اسطولهم البحري لانتقاذ مدينة ميورقة عندما وقعت في أيدي النصاري ٥٠٩ هـ / ١١١٢م وكان قادة الأسطول المرابطي وعلي رأسهم أبو الحسن علي بن عيس بن ميمون أول من قدم طاعته للموحدين ٥٤٠ هـ / ١١٤٣م- يقول المغربي (كان ابن ميمون) القائد الذي قهر النصاري في البحر وقطع سفرهم فيه وضرب علي بلاد الرومانية فقتل وسبى وملاء صدور أهلها رعباً^(١) كما يحدثنا ابن خلدون عن الأهمية الكبيرة من العناية بالأسطول في الجانب الغربي من البحر المتوسط يقول (وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الأساطيل ثابت القوة)^(٢). حيث أنفق المؤرخون بأنه كان أول اسطول عظيم يصل ويحول في حوض البحر المتوسط دون أكتراث بخطر القراصنة الذين كانوا يهاجمون السفن في كل وقت وحين. ولقد أعتي الموحدين أعتاء كبيراً بالبحرية لما لمسوه من أهميتها ولم يقف بهم الحد عند انضمام البحرية المرابطية اليهم بل طورها تطويراً يساير العصر الذي عاصروه فكانت سفنهم علي نوعين: نوع يستخدم لنقل الجند المؤن إلي السواحل الاندلسية كما كان الحال في عهد المرابطين والنوع الآخر يتألف من السفن البحرية الجاهزة. مما يظهر تطور البحرية عند الموحدين ما يذكره المؤرخون بكون الأسطول الموحد بلغ أربع مائة سفينة ألقت مراسيها علي جميع بلادهم منها مائة

(١) المقري: نفح الطيب ج ٢ ص ٢٠٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٧، كتاب العبر ج ٢ ص ٤٨٥.

وعشرون سفينة بميناء (المهدية) ومائة سفينة بمواني مدينة (سبتة السليبية) وطنجة والريف ومائة سفينة بسواحل افريقيا وثمانون سفينة بعدوة الأندلس. ومن أهم وأشهر المواني في ذلك العهد ميناء مدينة قاديس وسبتة وباريس ومهران وطنجة والمهدية. والجدير بالذكر أنه قد تخصصت أسرة بني ميمون بركوب البحر وقيادة الاساطيل في أيام المرابطين وكذلك في أيام دولة الموحدين حتى أن قائدها (ابا عبد الله محمد بن ميمون) طلب من أهل المرية أن يولوه عليهم في فترة قيام دولة الموحدين فا عتذر بقوله (إنما أنا رجل منكم ووظيفتي البحر فأنا لكم به فقدموا علي أنفسكم من شئتم غيري) (١) أدرك عبد المؤمن منذ بداية حكمة أهمية الأسطول فوجه عناية الفائقة ووطد رجاله للتدريب علي ركوب البحر وتذكر المصادر التاريخية أنه أنشا بمراكش بحيرة لتدريب البحار. ويقول صاحب كتاب (الحلل الموشية) فجمع الحفاظ فيه (القصر) وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة واحدة من المصامدة وغيرهم قصد بهم سرعة الحفظ والتربية علي مايريد فيأخذهم يوميا بتعليم الركوب ويوما بالرمي بالقوس ويوما بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانة مربعه ويوما يأخذهم بأن يجذفوا علي قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة. (٢)

حقيقة لقد توفر لدي دولة الموحدين بالاضافة إلي المرافي البحرية بالمغرب والأندلس كل الامكانيات المادية العظيمة اللازمة لبناء المراكب البحرية ففي بجاية (٣) كانت الأخشاب والزيت والقطران التي تستعمل في صناعة المراكب. ويقول الحميري عنها (وبها دار صناعة لانشاء الأساطيل لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير ويجلب اليها من اقاليمها الزيت الطيب

(١) المراكش عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب و الدار البيضاء ١٩٧٨م، ص ٣٠٧

(٢) مؤلف مجهول: كتاب الحلل والموشية ص ١٥٠ القابسي، نجاح (المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب)مجلة كلية التربية العدد ١٤ جامعة الفاتح بطرابلس ١٩٨٠م ص ٢٠.

(٣) الحميري: كتاب الروض المعطار ص ٨١ تحت مادة (بجاية)

والقطران وبها معادن الحديد وهي مرس عظيم تحط فيه السفن من كل جهة) وكانت أراضي الدولة الموحدية غنية بالأخشاب في بلاد المغرب والأندلس . وقد ساعدت هذه الامكانيات دون شك علي بناء أسطول موحد متعدد القطع وعلي درجة عالية من القوة والكفاءة سواء في المغرب والأندلس .. وكانت المرافئ البحرية علي اختلاف انواعها تهتم ببناء المراكب علي اختلاف أحجامها فقد تخصصت ببعض المراسي بأنشاء أنواع معينة من قطع البحرية فمثلا أختص مرس قصر مصمودة بأنشاء المراكب الكبيرة الخاصة بالنقل التي يسافر علي متنها الجنود ومعداتهم إلي الأندلس وبالعكس واختصت أيضا مراكز أخرى بأنتاج المراكب الصغيرة فلي شرق فاس حيث تنشأ القوارب والمراكب الصغيرة ثم تنساب في وادي سبو حتي المحيط الاطلسي^(١).

وفيما يتعلق بدور أسطول الموحدين في هذه الفترة التاريخية الهامة في المعارك البحرية الهامة والتي أدت في النهاية إلي انهيار الأسطول البرتغالي حيث أننا لم نعد نسمع عن دخولة في مغارك مع الأسطول الموحد فتشير المصادر التاريخية إلي أن إبي يعقوب المنصور ركز حملاته في شبه جزيرة أيبيريا في جبهتي البرتغال وقشتاله لأنهما كانتا من أشد الممالك خطورة وقسوة علي المسلمين وحرص في الوقت نفسه علي عقد محالفات سرية مع الممالك الأسبانية الأخرى مستغلا في ذلك العداء القائم بينها فأمكنه بذلك أن يعزل اعداءه وأن ينفرد بهم واحد بعد الآخر وابتداء المنصور بعدوه الأول ملك البرتغال (سانشوا نريكث) . في ذلك يقول هو نفسه في أحدي رسائله الرسمية الخاصة بهذه الحملة (وتجدد العزم لغزو عدو الله ابن الرنق إذ هو أقرب دارا وأصعب جوارا فصرفنا إلي بلاد أعنه القصد ولفتنا إليها وجه الاعتزام والصيد ورجونا الله تعالى في استئصال جهته بالاكتساح وشوخته بالحصد.....) وسارع ملك قشتاله^(٢) إلي مخاطبتنا مستأذنا في ارسال

(١) الحميري: كتاب الروض المعطار ص ٨١ .

(٢) هو الفونسو الثامن ملك قشتاله الملقب بالصغير .

رسله إلينا ليؤدوا عنه رغبته في التمسك بحبل هذه الأمر العظيم وذمته وأنه يخدم الموحدين أعزهم الله - بمحاربة أهل جلدته ومقاطعة أهل ملته.... فرأينا بعد استخارة الله تعالى أن من النظر العام والمصلحة للمسلمين تشتت أعدائهم وتفرق كلمتهم واختلاف أرائهم وأن من أعظم المعونة عليهم تقاطعهم وتباين أهوائهم فأبضينا له السلم علي ما فيه العزة لله ولأمره..... وكان ابن عمه عند قومه صاحب ليون^(١) في مهادنة مع المسلمين فرغب في تجديدها^(٢). هذه الرسالة تعبر بوضوح عن السياسة الماكرة الماهرة التي اتبعها أبي يعقوب المنصور للقضاء علي خصومة فهو كما رأينا قد فضلا التحالف مع بعض أعدائه أمثال (ملوك قشتالة وليون وأراجون) وذلك لكي ينفرد بعدوة الأول ملك البرتغال في المعركة وفي عام ٨٦ هـ / ١١٩٠ م عبر أبي يعقوب المنصور مضيق جبل طارق من ناحية قصر مصمودة أو القصر الصغير بجوار طنجة ونزل بجيوشة ثغر طريف ومن هناك أتجه إلي قرطبة ومنها إلي جبهة القتال في الغرب تعاونة أساطيله من ناحية البحر^(٣) ولم يجرؤ ملك البرتغال (سانشوا نريكث) ابن الرنق علي مقابلة المنصور في معركة عامة وجهالوجه بل أخفي هو وجنوده وراء حصونهم وفي ذلك يقول المنصور في رسالة السالفة الذكر (وملكهم ابن الرنق بشنترين) أعادها الله ملازم لانحجارة

(١) هو الفونسو التاسع ملك ليون ١١٨٨ - ١٢٣٠ م الذي حارب ملك قشتالة الفونسو الثامن ثم تزوج ابنته دونيا برنجيلا عام ١١٩٧ م وأنجب منها فرناندو الثالث الذي لقب فيما بعد بالقدس والذي خلفهما في حكم قشتالة وليون.

(٢) هذه الرسالة كان المنصور قد بعث بها إلي شيوخ وطلبة الموحدين بمدينة سبتة حول حملته علي البرتغال ويلاحظ أن مدلول كلمه الطلبه في المغرب يختلف عن مدلول في المشرق فالمراد بالطلبه هنا شيوخ العلم والمعرفة علي اعتبار أن العلم طالب للعلم مدي حياته راجع نص الرسالة في (أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ١٤٨ - ١٣٨.

مستكن في وجاره، مدرع بجلابيب خزية الطويل وعاره لا يبرز لمقارعة ولا يظهر لممصارعه ولا يبيدي من جموعه الذليلة وجنوده القليلة^(١).

لقد أنزل إبي يعقوب المنصور بالبرتغاليين عقابا رادعا إذ خرب ديارهم ونسق حقولهم وأحرق محاصيلهم وفي السنة التالية عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١م أطبق علي مدينة شلب^(٢) من البر والبحر فقد اشارت المدونات البرتغالية إلي مدي ما كان يعنیه البرتغاليون من الغازات البحرية التي شنها أهالي شلب ضدهم حيث كانوا يخرجون بسفنهم للاغارة علي السواحل البرتغالية مما دفع المؤرخين البرتغاليين القدامي إلي اطلاق لقب لصوص البحر عليهم. وعلي أیه حال نجح إبي يعقوب المنصور في الاستيلاء علي مدينة شلب في شوال وأستولي عليها في شوال عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١م كما استولي علي عدة حصون برتغالية مثل حصن المعدن وقصر أبي دانس.

ويضيف ابن عذاري أن أبي يعقوب المنصور كان عازما علي فتح (قلمرية) عاصمة البرتغال لولا أنه أصيب بمرض شديد أضطره إلي الرجوع إلي المغرب وكيفما كان الأمر فإن المنصور أستطاع بهذه الغارات أن يحطم قوة البرتغاليين بدليل أننا لم نسمع عن دخولهم في حرب ضد المنصور بعد ذلك.^(٣) وعقب هذه الحرب من البرتغال أعد المنصور حملة عسكرية أخرى

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٣٥.

(٢) يشير الأديسي إليها بقوله " حسنة في بسيط الأرض وعليها سور حطين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديهما الجاري بجنوبها وعليه أرجاء البلد والبحر منها غربا علي ثلاثة أميال ولها مرس في الوادي وقد أحتلت مدينة شلب منذ عهد الموحدين مكانه بارزة خاصة بعد سقوط مدينتي باجة ويابرة في أيدي البرتغاليين لأن الغرب الاندلس كان مثار الاحتكاك المستمرين الموحدين والبرتغاليين فأولاهما الموحدون جل اهتمامهم لذلك اعتبرها البرتغاليين - مركز المقاومة الإسلامية والمركز الرئيس الذي تخرج منه غارات الموحدين ضد المدن والقلاع البرتغالية (لمزيد من التفاصيل) عن مدينة شلب أنظر الحميري: المصدر السابق ص ١٠٦ ، الإدريسي: صفة المغرب ص ١٨٠، أبو الفدا: تقويم البلدان - باريس لسنة ١٨٤٠ ص ١٦٧، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب ج ١ ص ٣٨١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ١٣٨ - ١٤٨.

ضد مملكة قشتالة وقد حرص الخليفة يعقوب المنصور قبيل هذه الحملة على عقد محالفات سرية مع بعض الممالك الأسبانية مثل (ليون ونافارا) مستغلا الخصومات القائمة بين ملوكها وملك قشتالة. ولم تكن البرتغال قادرة على معاونة ملك قشتالة بعد الهجوم الأخير الذي شنه المنصور عليها. وحاول مبعوث البابوية الكادرينال (جريجوي) أن يفض هذه المنازعات القائمة بين الممالك الأسبانية لتوحيد الجبهة المسيحية ضد المسلمين ولكن جهود باءت بالفشل الذريع إلى درجة أن أحد أمراء مملكة ليون وأسمه (بدور فرنانديث دي كاسترو) أنضم صراحة هو وابتاعه إلى صفوف الموحدين وصار مستشار خاصا للمنصور خلال حملته على قشتالة^(١) هكذا أستطاع المنصور أن يعزل قشتالة عن جيرانها وان يفرد بملكها الفونسو الثامن الذي لقب (بالأنفونش الصغير) في ميدان المعركة - وفي جمادى الآخرة ٥٩١ هـ / يونية ١١٩٥ م عبر المنصور مضيق جبل طارق إلى ثغر طريف ومنه إلى أشبيلية حيث كان قد أعد بخارجها قاعدة عسكرية لنزول قواته إسماعها حصن الفرج. وبعد تعبئة قواته خرج المنصور إلى قرطبة ومنها أتجه إلى ثغور قشتالة، وفي الطريق حاولت سرية من حامته قلعه رباح^(٢) أن تتجسس أخبار المسلمين ولكن طلائع جيوش الموحدين تمكنت من اللحاق بها وقتل جميع أفرادها^(٣) وحينما علم ملك

(١) ظل هذا الأمير مقيما في بلاط الموحدين بمراكش حتى وفاته عام ١٢١٤ وأستمر ابنه من بعده (الفارو بيريث دي كاسترو) حليفا للموحدين ضد ملك أسبانيا فرناندو والثالث الذي لقب فيما بعد بالقدس ١٢٢٥ م. راجع د / أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣١٠.

(٢) قلعة رباح بين قرطبة وطليلطة نسبة إلى التابعي الداخل إلى الأندلس علي بن رباح اللخمي أحتلها ملك قشتالة الفونسو السابع عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م وصار لها نظام حربي ديني مثل نظام الداوية والأستبارية وبعد خمسين ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م أستعادها يعقوب المنصور بعد انتصاره في موقعه حصن الأرك (راجع د / أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣١١ د/ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ص ١٣٨).

(٣) الشريف الغرناطي: رفع الحجب المستورة في محاسن المنصور ج ٢ ص ١٥٤ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٤ هـ.

قشتاله بهجوم الموحدين خرج بجيوشه من عاصمته طليطله وعسكر عند حصن الأرك^(١) وهو من جملة الحصون الأمامية لقلعة رباح. وقد أكسبته المواقعة هذه المشهرة. ويبدو أن ملك قشتاله كان واثقا من النصر لدرجة أنه كما يقول الضبي في بغية الملتمس (صحب معه عددا من تجار اليهود لشراء أسري المسلمين) أما الخليفة أبي يعقوب المنصور فأثقه وأصل زحفه حتي تراعت له تجمعات العدو فعسكر هناك في السهول المجاورة لقلعة الأرك. وهنا يروي المؤرخون أن المنصور أمر بعد ذلك بعقد مجلس عسكري من أعيان ورؤساء الفرق المختلفة فلما تكاملت جموعهم قلم الوزير (أبو يحيى بن أبي حفص) وقال للمجتمعين (يقول لكم أمير المؤمنين لا تغفروا له فإن هذا موطن الغفران وتغافروا فيما بينكم وطيبوا نفوسكم واخلصوا لله بناتكم وهو يقول لكم إنما هو واحد منكم) فخشع جميع الناس وأجهشوا بالبكاء وطابت نفوسهم لما رأوا من تواضع الخليفة وقالوا بلسان واحد (من الخليفة نطلب العفو والغفران) وقام الخطباء بعد ذلك فخطبوا في الحث علي الجهاد والتبئية علي مكانة وقدره. ^(٢) وفي صباح اليوم الثاني الأربعاء ٩ شعبان ٥٩١ هـ / يوليو ١١٩٥ م ترك الجنود في المضارب الحمولة والأثقال ومشوا جميعا علي مهلهم كل قبيل بشعاره حتي صاروا قريبا من العدو ثم أخذوا مراكزهم ووقفوا كالبيان المرصوص والمنصور مع أهل بيته. وبدأت المعركة بهجوم عنيف

(١) موقعه. الأرك ينكرها البعض بصيغه أراك أو الأركو (السلوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٦٩) والغالب أن ينطق بسكون الراء والكاف بدليل قول الأديب أبي المصنف بن عميره في رسالة إلي الأمير أبي زكريا الحفصي التزم فيها السجع وهو المعروف بيوم الأركاء أكبر وقائع أهل التوحيد علي طواغيث الشرك) فالتزم السجع يقتضي تسكين الراء فضلا عن أن الأسم الأسباني فيه تسكين الراء أيضا أنظر (الشريف الغرناطي: رفع الحجب المستورة ج ٢ ص ١٥٥).

(٢) د / أحمد مختار العبادي: في تاريخ مصر والمغرب ص ٣١٠ - ٣١١ د / السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ج ٢ العصر الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ ص ٨٠٦. الضبي: أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي: بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس (مطبعة ١٨٨٤) ص ٢٧٦.

شنة العدو على مقدمة المسلمين وميسرتهم فأخترق صفوفهم حتى وصل إلى قائد المقدمة لوزير أبي يحيى من أبي حفص^(١) فأصبوا منه مقتلا ونكسوا أعلامه وأحدثوا اضطرابا في صفوف المسلمين. وهنا وفي هذه اللحظة الحرجة تتحلى بطولة الخليفة أبي يعقوب المنصور وشجاعته اذ تروي المصادر التاريخية أنه حينما رأى تزحزح المقدمة قال لخاصته (جددوا نيאתكم وأحضروا قلوبكم)^(٢) ثم تحرك وحدة وترك ساقته على حالها وسار منفردا من خاصته مقدما بشهامته ونجدته ومر على الصفوف والقبائل وألقى إليهم بنفسه كلاما وجيزا في الهجوم على عدوهم والنفوذ إليه ثم عاد إلى موضعة وساقته فلما وقعت أعين الناس عليه ورأوا عظيم وأوصل إليه حميت نفوسهم وتحركت همهم فحمل كل قبيل على من يليه ودفع كل موكب على من يقابله من العدو ويلتقيه فأنضمت على الكفار الاطناب وسدت عليهم الأبواب فالتحم الجمعان وحمى الوطيس وخلع الكفار عن مراكزهم فولوا الأدبار وشملهم الأدبار (وركبهم السيف)^(٣) هذا ويبدو من رسالة الكاتب أبي المطرف بن عمير إلى الأمير زكريا الحفصي بتونس في وصف تلك الواقعة أن الخليفة المنصور أستطاع أن يقوم بحركة التقاف بارعة حول الجيوش القشتالية وذلك بأن انتهز فرصة هجوم فرسانهم على مقدمة الجيش وسارع باحتلال ربوة عالية كان يحتلها هؤلاء الفرسان فلما تراجعوا من حملتهم وتأهبوا لاعادة الكرة من جديد نظروا فإذا الربوة محجوزة وراية الحق فيها مركوزة فحاصوا

(١) الشيخ ابويحيى بن ابي حفص الذي أستشهد في هذه المعركة وهو حفيد الشيخ أبي حفص عمر الهنتاني زعيم مسمود وأحد مؤسس دولة الموحدين.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٣٥، د / محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ص ١٣١.

(٣) د / أحمد مختار العبادى في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣١٢.

حيصة حمر الوحش^(١) وقد يؤيد هذا الكلام أن عددا كبيرا من كبار رجال الدين المسيحي الذين عادة ماتكون مراكزهم في المؤخرة قد أستطعوا صرعي في الميدان أمثال (أسقف مدينة أيلة وأسقف شقوبية) إلي جانب بعض كبار قادة الجيش القشتالي مما يدل علي أنهم قد فوجئوا من الخلف ولم يكن لديهم متسع من الوقت للهروب. ولقد أستطاع ملك قشتالة الفونسو الثامن أن ينجو بأعجوبة من هذه المعركة من هذه المعركة وأن يفر هاربا إلي عاصمته طليطلة لا يلي علي شيء. أما الخليفة أبي يعقوب المنصور فلم يترك ميدان المعركة إلا بعد أن طهر هذه المنطقة ووضع يده علي حصن الأرك وقلعة رباح وجميع الحصون التي سيطر عليها. (٢)

وتفيد كتب المصادر بعدة أدلة علي مدي شهرة أسطول الموحدين في هذه الفترة التاريخية الحاسمة حيث كان للأساطيل الموحدية بسواحل المغرب والأندلس وإفريقيا الفضل في المماندة غير المباشرة لمسلمي مصر والشام في جهادهم ضد الغزاة الصليبيين وخاصة بالنسبة لصقلية المجاورة لثغور إفريقية والمغرب الأوسط والتي كانت آنذاك هي القوة البحرية الرئيسية التي تقدم العون والمساعدة للصليبيين في ثغور الشام كما كانت صقلية تساند القوات البرية الصليبية في محاولة الاستيلاء علي مصر.

ومما يدل علي دور الأساطيل الموحدية الهام والفعال أيضا بل والخطير في قطع الطريق أمام أساطيل صقلية واشغالها ومنعها من التوجه إلي منطقة بلاد الشام ومصر ومطاردتها وأغراقها والاغارة علي قواعدها. ولعل سعي ملك صقلية إلي طلب الصلح من الخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدي عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م أمر يفسر مدي أهمية البحرية الموحدية وقوتها

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ١٦٣، الشريف الغرناطي: رفع الحجب المستورة ج ٢ ص ١٥٤.

(٢) الشريف الغرناطي: رفع الحجب المستورة ج ٢ ص ١٥٦.

وعظمتها^(١) وكان للانتصارات الباهرة التي حققها الأسطول الموحدى في الحوض الغربى للبحر المتوسط أثر غير مباشر لا يستهان به فى الانتصارات التى حققها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين والتى توجت بانتصار حاسم فى معركة حطين واسترداد بيت المقدس عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م.^(٢)

حقيقة أن استرداد بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين هو المدعاة للأعداد لحملة صليبية من الغرب عرفت بالحملة الصليبية الثالثة وحصار المسلمين فى مدينة عكا وحصار صلاح الدين للصليبيين وماعاناه صلاح الدين من نقص شديد فى العدد والعتاد والأموال وعدم وجود.

حماس خارج أراضي صلاح الدين فى مصر والشام وقله عون الخليفة العباس فى بغداد وشهرة الأساطيل الموحدية لكثرة عددها وامكانياتها وشهر رجالها فى غزو البحر والتصدي للنصارى^(٣) كل ذلك دعا صلاح الدين إلى أن يبعث بصريخة ليعقوب المنصور الموحدى طالبا منه العون والمساعدة ضد ما تعرضت له قوات صلاح الدين البحرية والتصدي للقوات الصليبية المتوجهة بحرا إلى الأراضي المقدسة.

(١) عبد الواحد المراكش: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء سنة ١٩٧٨ م ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) سسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الاسلامى لجزر البليار) بيروت ١٩٨٤م ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٣) المقرئ، أحمد بن محمد: نفح الطيب من عصف اندلس الرطيب. تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩ م ج ٣ ص ١١٢.

المبحث الثالثالمراسلات التاريخية بين صلاح الدين وأبي يعقوب المنصور

تختلف المصادر التي بين أيدينا في تحديد زمن المراسلات التاريخية التي تمت بين صلاح الدين وأبي يعقوب المنصور فالقلقشندي علي سبيل المثال يذكر أن رسالة صلاح الدين إلي المنصور كانت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة إذ يقول (وكتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلي المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أحد خلفائهم في سنة خمس وثمانين وخمسمائة يستجيشة علي الروم الأفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية)^(١) دون أن يحدد بدقة شهر المراسلات ويذكر أيضا بن خلدون أن المراسلات كانت في عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م بقوله (واعتراضوا الأفرنج أسطول صلاح الدين في البحر فبعث بصريخة إلي المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة بطلب إعانتته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس)^(٢) ويسير علي هذا النهج أيضا أبو العباس أحمد السلاوي في كتابة الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى^(٣) ويبدوا أن ما ذكره ابن خلدون والقلقشندي والسلاوي لا تؤيدة الدلائل فقد بعث صلاح الدين بن شداد صاحب كتاب النوادر السلطانية إلي الخلافة في بغداد في شهر رمضان عام ٥٨٥ هـ ورجع في ربيع الأول ٥٨٦ هـ / أبريل ١١٩٠ م فهل بعث صلاح الدين إلي المنصور قبل يأسه من مساعدات الخلافة العباسية في بغداد وقبل عودة مبعوثة إليها ؟ ومعرفة مدي عوناه ومساعدتها. وفي نفس الوقت فقد حوت رسالة القلقشندي خبر وصول ابن ملك الألمان إلي أراضي الشام الذي كان في شعبان ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م .

(١) القلقشندي: صبح الاعش ج ٦ ص ٥٢٦ .

(٢) ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٥١٤ .

(٣) السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ج ٢ ص ١٦٣ .

ويبدو أن مكاتبات صلاح الدين بدأت أولاً بالخلافة والتابعين في مصر واليمن وأقطار أخرى في نهاية عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ومعنى ذلك أن مراسلات المنصور تمت في فترة تالية وهذا يجعلنا لا نصدق ما ذكره القلقشندي بأن المراسلات في عام ٥٨٥ هـ وإن ما كتبه القلقشندي هو عبارة عن أنموذج للرسائل التي يخاطب فيها المكتوب بأمر المؤمنين دون تحري الدقة في ذكر التاريخ. (١)

وبالنظر إلى ماورد عند أبي شامة الذي يحدد رسالة تكليف ابن منقذ في ٢٨ شعبان ٥٨٦ هـ / ١١٨٩ م والتي طلب إليه حملها للمنصور في شعبان كذلك دون أن يحدد اليوم ويذكر أن خروجه من الإسكندرية كان في ١٣ رمضان ٥٨٦ هـ / ١٤ أكتوبر ١١٩٠ م ووصل إلى طرابلس في ٢٥ شوال ٥٨٦ هـ / ٢٥ نوفمبر ١١٩٠ م ومكث بها لمدة أسبوعين فهل كان ذلك بهدف الاجتماع بقراقوش أو بعض قادته علي الأقل؟ (٢)

ومن خلال استعراض آراء المؤرخين الذين كتبوا أصول هذه المراسلات نخلص إلى القول بأن المراسلات أو علي الأقل التفكير بها بدأ في نهاية عام ٥٨٥ هـ ووصل رسول صلاح الدين إلى مدينة فاس وقابل المنصور بعد انتظار في سادس محرم ٥٨٨ هـ / ٢٣ يناير ١١٩٢ م ومن وجهة نظرنا أعتمدنا علي كتاب المهدي الذي ورد إلى الإسكندرية في ١٨ رجب ٥٨٦ هـ / أغسطس ١١٩٠ م والذي يذكر انشغال الموحدين بالجهاد في الأندلس. (٣)

يبدو أن ابن منقذ أمضي فترة طويلة ببلاد المغرب منتظرا المنصور الذي كان مشغولاً بالجهاد في بلاد الأندلس ضد النصاري ومحاولة استرداد

(١) القلقشندي: صبح الاعش ج ٦ ص ٥٠٦.

(٢) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٧٧ السلاوي: كتاب الاستقصا ص ١١١.

(٣) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٧٧.

مدينة شلب من (ابن الرنق) إلي درجة أن القاضي الفاضل كتب لعبد الرحمن بن منقذ بطلب منه انجاز ما رسل إليه وذلك في عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م بعد وصول ملك فرنسا وانجلترا إلي بلاد الشام واشتداد الحصار علي عكا بقوله (وأحوج ما كنا إلي النجدة البحرية والأساطيل المغربية فأن عادتنا بها تشد والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الأسلام وخطوبة ويقوم في البلاغ يوم الجمعة فقام خطيبة ويعجل العودة وقبلها الاجابة) ^(١) ولم يتمكن بن منقذ فيما يبدو من انجاز مهمته في هذه الفترة ومقابلة المنصور وقد وصله خطاب من مصر يبلغه سقوط عكا في يد الصليبيين يوم ١٧ جمادي الآخرة عام ٥٨٧ هـ / ١٢ يوليو ١١٩١ م. وعلي أية حال فان ابن منقذ انتظر المنصور بمدينة فاس بناء علي تعليمات الخليفة نفسه. ويبدو أن تكتّم بن منقذ يحوي شئيا من التساؤل حول الصعاب التي كانت تقف وراء انجاز مهته كما يبدو أن إصابة المنصور بالمرض ساهمت هي الآخري في تأخير عودة ابن منقذ رغم أن المنصور عاد من الأندلس إلي المغرب في شهر رمضان ٥٨٧ هـ أكتوبر ١١٩١ م. ^(٢)

وتمت المقابلة في ٦ محرم ٥٨٨ هـ / ٢٣ يناير ١١٩٢ م وأجاب المنصور سفير صلاح الدين أجابة مجملّة وأحال علي وزرارة للتفاصيل. وعاد عبد الرحمن بن منقذ إلي مصر دون أن يحصل علي ما أرسل لاجلة في بداية عام ٥٨٨ هـ بداية ١١٩٢ بعد غيبة أستغرقت عشرين شهرا فيما يبدو اذا ما أعتمدنا علي مذكره أبو شامة في الروضتين من أنه غادر الأسكندرية في ١٣ رمضان ٥٨٦ هـ / ١٤ أكتوبر ١١٩٠ م وعاد إليها في ٢٨ جماد الآخر ٥٨٨ هـ / ١١ يوليو ١١٩٢ م. ^(٣)

(١) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) السلاوي: كتاب الاستقصا ص ١٠٧.

(٣) أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ١٧٤.

وفيما يتعلق بالرسائل التي بعثها صلاح الدين ليعقوب المنصور فالمصادر التاريخية تشير إلى أنه يوجد نصان مختلفان لصريح صلاح الدين ليعقوب المنصور من خلال رسالتين حفظهما لنا كل من أبي شامة والقلقشندي فقد حفظ لنا القلقشندي نص رسالة بعث بها صلاح الدين يستجد ببيعقوب المنصور كنموذج للرسائل التي تكتب من ملك إلى ملك. وقد طلب من أحد أفراد بني منقذ، وهو شمس الدولة عبد الرحمن بن منقذ بأن يكون رسول صلاح الدين إلى المنصور وينتمي عبد الرحمن لبني منقذ أمراء قلعة شيزر بشمال بلاد الشام. وهو ابن أخي أسامة بن منقذ صاحب (كتاب الاعتبار)^(١) المعاصر هو الآخر لصلاح الدين ويضيف ابن خلدون قوله: وهو من بني منقذ ملوك شيزر وكان ملكها صلاح الدين من أيديهم وأبقى عليهم في دولته^(٢) والحق يقال أن صلاح الدين طلب من عبد الرحمن الاتجاه إلى المغرب للاستجد بالخليفة الموحد المنصور ضد الأفرنج وتوافدهم علي بلاد الشام بكتاب من إنشاء القاضي الفاضل لابن منقذ يأمره بالسفر إلى المغرب بناء علي أوامر صلاح الدين هذا الكتاب تضمن عدة توصيات ومهام كلف عبد الرحمن بن منقذ بأنجازها. وفي صدر هذا الكتاب اشادة بمكانة الرسول بن منقذ (الأمير الأجل الأسفهلر الأصل العالم المحترم شمس الدين عدة الأسلام جمال الأنام تاج الدولة أمين الملة صفوة الملوك والسلاطين.... يستخير الله سبحانه ويتوجه كيفما يسر الله إلي الجهة الاسلامية المغربية حرس الله جانبها ونصر كتائبها ومراكبها)^(٣) علاوة علي ذلك تضمن الكتاب عدة توصيات لعبد الرحمن بن منقذ طلب منه انجازها قبل وصول إلي المغرب منها ما ذكره أبو شامة (يستقري في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في أحوالهم

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار حرره فليب حتي، برنستون ١٩٣٠م هامش ٣١ ابن خلكان: وفيان الأعيان وأبناء الزمان تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧١م.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٢٧.

(٣) أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٧٠.

وآدابهم وأشغالهم وأفعالهم ما يحبه من القول نظره أوجمه ومن اللقاء منبسطه ومنقبضه ولا يلقيه إلا بما يحبه ولا يخاطبه إلا بما يسره (١) وطلب إليه أن يذكر ما لصلاح الدين من أيدي وما قام به من عمل في جهاد الصليبيين وانتصاره عليهم في موقعة حطين واسترداد بيت المقدس وما عليه المسلمون في عكا ومحاصرة الأفرنج لهم وتوافدهم من الغرب لمساعدة الصليبيين وأهمية الأساطيل بالجانب المغربي لفك حصار عكا ومنع وصول الأمدادات للأفرنج وهنا يقول أبو شامة: (وان هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولا مستعدا يقطع بحره ويمنع ملكه لأخذنا العدو وإما بالجوع أو بالحصر أوبرز فأخذناه....) فإن كانت الأساطيل بالجانب المغربي ميسرة والعدة عنها متوفرة والرجال في اللقاء فارهة والمسير غير كاره (٢) وتبرز من نص هذا الكتاب مدي أهمية وشهرة الأساطيل الموحدية للوقوف في وجه الصليبيين وعدتها وأشتهار بحارتها. ويظهر أن صلاح الدين كان يدرك ما يمكن أن يقوم به الأسطول الموحدية كما طلب النجدة بالرجال والمال وأن دعوة المنصور من وجهة نظر صلاح الدين واجب تحتمه عليه أهمية الأماكن المقدسة في نظر المسلمين جميعا. وأحيط عبد الرحمن بن منقذ علما ببعض ما كان يتوقع من الموانع التي ستكون بمثابة عقبة في سبيل تلبية المنصور لندوة صلاح الدين، وهو ما قام به قراقوش وبوزابا في بلاد أفريقية ضد الدولة الموحدين والتوصل من أعمالها، بقوله: (وان سنل عن المملوكين بوزابا وقراقوش وذكر مافعلا في أطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين نفتهم مقاومات القتال فيعلمهم أن المملوكين ومن معهم ليسوا من وجوه الممالك والأمراء ولا من المعدومين في الطواشية والأولياء وانما كسدت سوقهما وتبعهما ألفافا أمثالهما ولا كان هذان المملوكان ممن اذا غاب أحضر ولا ممن اذا فقد افتقد ولا يقدر

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٧١.

في مثلهما أنه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوي من جنائية (١) ولا ندري كيف تنصل صلاح الدين من أعمال قراقوش والجنود الايوبيين في بلاد المغرب، مع أنه كان قد ينتاهي عدة مرات في كتبة الي الخلافة العباسية بماله من أباد في نصرة الخلافة وأتساع رقعة أراضيها في المغرب، وكيف أنها وصلت إلي أراضي بعيدة ووسعت حدود الخلافة العباسية في المغرب ولا ندري لماذا لم يحط عبد الرحمن بن منقذ علما بما قدمه صلاح الدين لبني غانية (٢) حين طلب منه الخليفة العباسي ذلك ؟ وفيما يبدو أراد أن يغض الطرف عن كل ذلك وعلي أية حال فقد تضمن كتاب عبد الرحمن بن منقذ نوع الهدية إلي المنصور، وفي آخر الكتاب تاريخ صدره " كتب ثامن وعشرين شعبان سنة ست وثمانين وخمسائة "سبتمبر ١١٩٠ م. (٣)

أما الرسالة التي وجهت الي أبي يعقوب المنصور فلدينا نصان مختلفان صدرا عن ديوان الانشاء بمصر. وهما يتضمنان صريح صلاح الدين ليعقوب المنصور الموحد وطلب مساعدته وردت الرسالة الأولى في كتاب القلقشندي (صبح الأعشي) وهو يعرض كيفية المكاتبه من ملك إلي ملك حيث يقول: " (والرسم فيها أن تفتح بالدعاء المناسب للحال ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمر المؤمنين " (٤) والرسالة الثانية نقلها لنا أبو شامة فهو يقول: " كان بلغني أن السلطان رحمه الله لما أشد أمر الأفرنج علي عكا أرسل الي ملك المغرب يستعجز منهم ما كان أرسل

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٢) بني غانية - من قبيلة مسوفة وكان يمتون بصلة القرابة إلي بني تشفين إمراء المرابطين وفي عهد المرابطين قاموا بني غانية بولاية دانية فأمتلكوا جزر البليار (ميورقه ومنورقه وباسة) واستقل محمد ابن غانية بحكم هذه الجزر واقام فيها جاريا علي أمر لموتونه داعيا لبني العباس وخلفه بن أبو ابراهيم اسحاق وفتح بابه لمن وفد اليه من بقايا عناصر المرابطين في الأندلس وتوفي في ٥٧٩ هـ

(د / السيد عبد العزيز سالم) المغرب الكبير ج ٢ العصر الإسلامي ص ٨٠٧

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ٦ ، ٥٢٦.

لأجله.... وهدفه كان الأطلاع علي نفس كتاب الرسالة ومضمونها ثم أراني بعض الشيوخ الصلحاء السقاة بخطة ما كنت أرومه فنقلته علي وجهة. قال :- نسخة كتاب كتبه القاضي الفاضل ونقلته من خطة لابن منقذ يأمره فيه بالسفر إلي بلاد المغرب بأمر صلاح الدين رحمه الله يستنصر بملك المغرب يعقوب المنصور بن عبد المؤمن لما حاصر الأفرنج عكا بعد كسرة حطين وفتح بيت المقدس والكتاب الذي سير إلي المغرب والهدية التي حملت^(١) فقد تضمنت الرسالة الواردة في (صبح الأعشي) والتي أستهلها القلقشندي - نقلا عن القاضي الفاضل - بأمر صلاح الدين إلي المنصور بقوله "فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين...."^(٢) ويتضح مما تضمنته الرسالة أن صلاح الدين كان ينوي مكاتبة الموحدين منذ البداية للتعاون علي الجهاد بقوله (ونمسك طرفا من حبل النصاري يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه.....) وتجنذب اعداء الله من الجانبين^(٣). غير أننا نبعد صحة هذا الاحتمال منذ بداية حكم صلاح الدين. ثم تابع القلقشندي في رسالته ما لصلاح الدين من أيد علي الإسلام والمسلمين من تطهير مصر واليمن من الشيعة وفتح البيت المقدس وكيف أن ذلك أثار النصاري وجعلهم يعدون لحملة صليبية عرفت بالحملة الصليبية الثالثة وأن جموعهم بدأت تتوافد تباعا علي بلاد الشام وهنا يقول القلقشندي: (وزادت هذه الحشود المتوافدة وكثرت الي أن خرجت من سجن حصرها ومستقر كفرها وبقيّة ثغرها وهو صور فنازلت ثغر عكا في أسطول ملك بحره)^(٤) ثم تتحدث الرسالة عن أهمية الأسطول المغربي: (ولما فحص النظر زيده وأعطي الرأي حقيقة ما عنده لم نر لمكاثرة البحر الا بحرا من أساطيلة المنصور فان عدها واف وشطرها كاف يمكنه

(١) أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٧٠.

(٢) القلقشندي صبح الأعشي ج ٦، ٥٢٧.

(٣) نفس المصدر والجزء الصفحة.

(٤) القلقشندي صبح الأعشي ج ٦ ص ٥٢٨.

أدام الله تمكنه أن يمد الشام منه بعد كثيف^(١) (وحد رهيف) حقيقة لم يذكر في ثنايا الرسالة تاريخاً بعينه، غير أن القلقشندي ذكر أن تاريخ المكاتبه كان في عام ٥٨٥ / ١١٨٩ م.

ويتضح من نص الرسالة التي أوردتها القلقشندي أن المنصور خوطب بلقب أمير المؤمنين الذي يجعله عدد كبير من المؤرخين سبباً رئيساً لعدم تلبية أبو يوسف يعقوب المنصور لطلب صلاح الدين يقول ابن خلدون في هذا الصدد: (فتقم عليهم المنصور لتجافيه عن خطابة بأمر المؤمنين وأسرها في نفسه وردهم الي مرسلهم ولم يجبه إلي حاجته من ذلك) ^(٢)

غير أن الرسالة التي حفظها لنا أبوشامه ومستهلها "بسم الله الرحمن الرحيم (من الفقير الي رحمه ربه يوسف بن أيوب) ^(٣) والتي تضي علي المنصور الكثير من النعوت والألقاب، ولكننا لا نجد فيما أحتوت عليه لقب أمير المؤمنين وتذكر الرسالة سبب المكاتبه، (وقد حفز لها حافزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه والآخر مرام عظيم ماكره إذا أستفتحت به الأبواب....) ^(٤) وتستطرد الرسالة في ذكر سبب المكاتبه من حصار الأفرنج عكا وزيادة عددهم ومددهم من جهة البحر وخبر ملك الألمان ووصول ابنه بما تبقى من فلول عساكره إلي أنطاكية بعد أن رجع معظمهم إلي بلادهم ثم تذكر الرسالة ما للموحدين من أيد في جهاد النصاري بعدوتي المغرب والأندلس.

ثم تحدد الرسالة مدي حاجة المسلمين بالشام للأساطيل الموحدية وأهميتها وتختتم بذكر محاسن سفير صلاح الدين إلي المنصور وبنوع الهدية

(١) نفس المصدر والجزء، ص ٥٢٩.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٢٨.

(٣) أبوشامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٧٠.

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة.

التي كان يحملها وتؤرخ بشعبان ٥٨٦ هـ / سبتمبر ١١٩٠ م^(١) ويقول أبو شامة " وكان اقلاعه من الأسكندرية (ابن منقذ) في شبني عمارته مائة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة (١٤ أكتوبر ١١٩٠ م) ووصل إلي طرابلس أول البلاد في الخامس والعشرين من شوال (٢٥ نوفمبر ١١٩٠ م) وأقام بها إلي ثامن ذي القعدة (٦ ديسمبر ١١٩٠ م) وتوجه إلي البلاد وكان الإجتماع بالوزير أبي يحيى بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص ودفع كتاب السلطان اليه يوم الخميس سابع ذي الحجة (٥ يناير ١١٩١ م) وكان الدخول علي يعقوب المنصور والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة ١٨ / يناير ١١٩١ م وفي هذا النهار حملت هدية السلطان إلي خزانته وكان انفصاله من مراكش عاشر محرم سنة ثمان وثمانين (٢٩ يناير ١١٩٢ م) ووصل إلي الأسكندرية في الثامن والعشرين من جمادي الآخر سنة ثمان وثمانين^(٢).

(١) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٢) أبو شامة: نفس المصدر والجزء والصفحة.

المبحث الرابع

أسباب عدم تلبية المنصور لصريح صلاح الدين

هناك عدة أسباب تقف وراء عدم تلبية المنصور لصريح صلاح الدين. أهتم المؤرخون القدماء منها بقضية عدم تلقيب المنصور بأمير المؤمنين. يقول أبو شامة " لم يحصل من جهة سلطان المغرب ما التمس منه من النجدة وبلغني أنه عز عليه كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين علي جاري عادتهم... (١) لا بل القاضي الفاضل من خلال رسالته لصلاح الدين والذي يشرح له فيها أن السفارة المغربية لم تكن برأيه ولا هو مختارا لها فهل تتصل القاضي الفاضل كنان بسبب لوم صلاح الدين عليه لكونه لم يكتب إليه بأمير المؤمنين ؟ ذلك ما يمكن توقعه ويستشف من صورتها أن بن منقذ لم يرضي أن يقوم بسفارته دون التصريح بأمير المؤمنين حيث يقول: وأن الكتاب لا يأخذ إلا بتصريح أمير المؤمنين " غير أن القاضي الفاضل رفض التصريح بذلك محتجا بقوله: " بان الخطاب يكفي وطريق جحدنا له ممكن والكتابة حجة تقيد اللسان عن الأفكار، ومتى قرئت علي منبر من منابر المغرب جعلنا خالعين في مكان الأجتماع مبايعين من لا ينصره الله ولا شوكة فيه ولا يحل اتباعه مرخصين الغالي منحطين عن العالي شاقين عصا المسلمين مفرقين كلمة المؤمنين (٢) يبدو من خلال تبريرات القاضي الفاضل ذلك الفقيه الذي رأي أن المخاطبة بأمير المؤمنين للمنصور تحوي جل اتباع صلاح الدين للدولة العباسية فهناك خلافتان متنافستان في المغرب الخلافة الموحدية وفي المشرق الخلافة العباسية ولصلاح الدين السيد الطولي علي الخلافة العباسية لأنه أزال الخلافة الفاطمية وأضاف إلي أراضي الخلافة العباسية وسلطانها مصر والشام. وعلي الرغم من أن ابن منقذ زود بنصائح القاضي الفاضل وطلب إليه أن يخاطب شفويا

(١) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٧٤.

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة.

السلطان الموحي بلقب أمير المؤمنين، إلا أن ابن منقذ فيما يبدو ولم يكن راضيا عن ذلك ولعل صلاح الدين أحيط علما بذلك ومن خلال رد القاضي الفاضل الذي تضمن (التالي وان كان مولانا اعان الله نصره يقول أنت غافل وغائب وماتعرف ما الإسلام فيه فلو حضرت وعرفت ما شققت الحديث) (١) أن القاضي الفاضل تتصل من كل ذلك بقوله: فجواب ما نكتب بعد سنتين فما يتخلي الله عنا. (٢)

ويبدو من خلال نصوص الكتاب أن هناك اختلافا بين الدوائر الرسمية الأيوبية حول صريح صلاح الدين وأن قضية المخاطبة بأمر المؤمنين أمر ذكره القاضي الفاضل الذي يبدو أنه كان من كبار المعارضين للمراسلات بين صلاح الدين والمنصور الموحي لتبرير فشل المراسلات، وابن منقذ نفسه خاطب السلطان الموحي بهذا اللقب من خلال شعره (٣). ويذكر بن خلدون أن السبب الرئيسي لعدم تلبية المنصور لطلب صلاح الدين كونه لم يخاطبه بأمر المؤمنين فيقول (فنقم عليهم المنصور تجافيه عن خطابة بأمر المؤمنين وأسرها في نفسه وحملهم عن مناهج البر والكرامة وردهم إلي مرسلهم ولم يجبه إلي حاجته).... (٤) غير أن بن خلدون يعود في الجزء السادس من كتابة العبر " يقول " فأعتذر له عن الأسطول وأنصرف ويقال أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصاري من بيلاد الشام (٥) ويأخذ بذلك السلاوي (٦) وينقل نفس نص ابن خلدون الصادر في المقدمة ويضيف إليه ما ذكره في الجزء السادس وأذا ما أخذنا بما ورد لدي القلقشندي الذي يذكر مخاطبة

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٣) السلاوي: الأستقصا، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٢٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥١٤.

(٦) السلاوي: الأستقصا، ج ٢، ص ١٦٣.

المنصور بأمير المؤمنين بقوله: (فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين^(١)) فلماذا إذا لم يجبه الي طلبه). وهذا يجعلنا نشك فيما ورد عند القلقشندي وكذلك رفض المنصور ذلك الرجل الذي شهد له بالجهاد وشغله به طوال فترة حكمة أن لم يكن طوال فترة حياته فهذا أبو شامه يقول (فقد كان سلطانا عادلا مظهرا للشريعة غازيا)^(٢). ويسير عدد من المؤرخين المحدثين علي نفس النهج ويذكر أن قضية أمير المؤمنين هي السبب الرئيسي لعدم تلبية المنصور طلب صلاح الدين ويتضح أن قضية أمير المؤمنين هي من الاسباب الرئيسية لعدم أستجابة المنصور لطلب صلاح الدين ولكن المنصور المجاهد العادل المظهر للشريعة لم يكن فيما يبدو يأبه لمثل هذه الأسباب ويرفض مبادرة صلاح الدين بل أن رفضه كان لأسباب أكثر معقولة وأهمية^(٣).

وتحتل حملته قواقوش علي بلاد المغرب أهمية عظيمة. فقد قام قراقوش بتهديد الأجزاء الشرقية للأمبراطورية الموحدية وتحالف مع بني غانية وهددا معا بأسم الخلافة العباسية دولة الموحدين واستوليا علي أجزاء واسعة منها، فعلي حد قوله ابن الأثير: (وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعا شرقا وغربا إلا مدينتي تونس والمهدية)^(٤). وكان يوسف بن عبد المؤمن (حكم من ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) في فترة أستيلاء قراقوش علي برقة وجهات فزان مشغولا بجهاد النصاري في بلاد الأندلس وقد ساند ابراهيم بن قراتكين - رفيق قراقوش الثورة في قفصه عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م مما جعل الخليفة الموحدي يعد بنفسه لحملة ضمن تحالف بني الرنر مع القبائل العربية، وكان المنصور يرافق والده في هذه الحملة. والجدير بالملاحظة أن صلاح الدين كان يعتز بحملة قواقوش علي بلاد المغرب ويبارك أعماله مع رفيقه ابراهيم

(١) القلقشندي، صبح الأعشي ، ج ٦ ص ٥٣٧.

(٢) أبو شامه: الروضتين، ج ٢ ص ١٧٤.

(٣) الصحراوي، عبد القادر: جولات في تاريخ المغرب، ص ٧٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، حوادث ٥٨٠ هـ.

بن قراتكين. ويتباهي بذلك أمام الخلافة العباسية كما يظهر من خلال مراسلاته للخلافة في بغداد في غضون عام ٥٧٦ هـ وهدد قراقوش القيروان وحاول الاستيلاء عليها ووقع قاضي أفريقية ورئيس ديوانها في أسره. (١) وحاصر ساحل قابس وأستولي عليه. ولعل مراكب بني غانية التي كانت تطرق بجاية للتبادل التجاري على حد قول الغبريني (كانت أجفان اسحاق بن غانية تصل أفريقية من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية) (٢). وكان أصحابها على علم بما يجري في أفريقية وما يقوم به قراقوش التقوي في جهات شرق دولة الموحدين ولعلهم رأوا في ذلك ما يشجعهم على الاستيلاء على بجاية في فترة كانت فيها صدور الموحدين تواجه النصاري في بلاد الأندلس (٣) وحاول بنو غانية استغلال الظروف بعد هزيمتهم في بجاية والتوجه شرقا إلى أفريقية للتحالف مع قراقوش والقبائل العربية من بني رياح وجشم ومراسلة الخلافة في بغداد ليكسب عملهم صبغة شرعية والتي بعثت بدورها لصالح الدين من أجل تنظيم هذا التعاون والأشراف على تنفيذه مع بني غانية وكان من نتيجتها مبايعة عن بن غانية وتلقية بأمير المسلمين (٤) مما أكسب عمله ضد الموحدين صبغة شرعية. فرفع أعلام الخلافة العباسية ومنح ما كان للمرابطين وقوي عزمه بذلك.

ومن الجدير بالملاحظة أن الموحدين منذ بداية دولتهم كانوا يطمحون إلى بسط سيطرتهم على كافة أرجاء العالم الإسلامي (٥) كما أن الأيوبيين بدورهم كانوا يهدفون إلى الحاق المغرب والأندلس بأراضي الخلافة العباسية

(١) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ١٧.

(٢) الغبريني أحمد بن أحمد: الدراية بمن عرف من العلماء ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) كنون، عبد الله: النبوغ المغربي في الألب العربي، ج ١ ص ١١٦.

(٤) الأيوبي محمد تقي الدين: كتاب مضمار الحقائق ص ٧٠.

(٥) أنظر ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ج ٢، ص ٤٥٥، أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٧٠.

كما كان الحال في عهد دولة المرابطين ولذا فإن مصالح الأيوبيين والموحدين كانت منذ البداية متعارضة. ويبدو أن سفارة عبد البر بن فرسان كانت ناجحة وقوبلت قبولا حسنا لدى ديوان الخلافة في بغداد. حقيقة إن أعمال بني غانية وحلفائهم هي التي دفعت المنصور إلى أن يتجه علي راس قواته إلى أفريقية شوال ٥٨٢ هـ / ديسمبر ١١٨٦ م لمجابهة أعدائه. ودارت بالفعل أول معركة بين الموحدين وبني غانية وحلفائهم بالقرب من قفصه وذلك في ١٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ / ٢٤ يونيو ١١٨٧ م. (١) مما دعا المنصور إلى التحرك من تونس حالا حيث التقى بفلول بني غانية وحلفائهم بالحامة قرب قابس يوم ٩ شعبان ٥٨٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١١٨٧ م وحقق النصر لقواته لا بل قضى أكثر من ثمانية عشر شهرا في متابعة أعدائه وملاحقتهم وعاد إلى المغرب في أوائل عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م. ولذا لم يكن للانتصارات التي حققها صلاح الدين في حطين واسترداد بيت المقدس أي حماس لدى دولة الموحدين وخليفتهم الذي كان يخوض وقتها حربا مع من يؤيدهم صلاح الدين ولو بطريقة غير مباشرة. وفي هذه الفترة بعث صلاح الدين لابن أخيه رسالة يأمره بتأجيل تحركة إلى بلاد المغرب يتضح من محتواها مدي معرفة صلاح الدين بما يجري في أفريقية وأنه كان علي علم تام بما يقوم به قراقوش وبني غانية. (٢) والحق يقال أن صراع الدولة الموحدية مع بني غانية وحلفائهم كلف الدولة غالبا، لأن الموحدين لم يكونوا متفرغين له بل كانوا مشغولين في حروب صليبية أيضا في الأندلس وكان صلاح الدين منذ البداية يخاف أن يتوقع أن يخفق رسالة في مهمته ولذا نجد بن منقذ يحاط علما بما قام به قراقوش التقوي ويلقن الأجابة من جانب القاضي الفاضل. ومن خلال نص الرسالة يبدو صريحا أن الدوائر الرسمية الأيوبية كانت تتوقع منذ

(١) سعد زغلول عبد الحميد " العلاقات بين صلاح الدين ويعقوب المنصور الموحدى " مجلة آداب الاسكندرية، للمجلد الخامس، ١٩٤٩، ص ٩٦ - ٩٧ - ٩٨.

(٢) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٧٠.

البدائية اخفاق مهمة ابن منقذ بسبب أعمال قراقوش في الأطراف الشرقية للأمبراطورية الموحدية وأن التتصل من اعمال قراقوش والقاء نتائج أعماله عليه وتبرير تحركة واعتباره خارجا عن طاعة الأيوبيين علي ضوء ما ورد في الرسالة أمر يحوي التتصل والأعتذار أكثر منه شرحا للحقائق. ولا شك فيما يبدو ومن خلال ما أوردنا من أن قام به قراقوش وحلفاؤه من بني غانية والقبائل العربية في أراضي الموحدين كان أحد الأسباب الرئيسية والمنطقية التي حالت دون تلبية المنصور لصريخ صلاح الدين^(١) خاصة وأن ما قام به قراقوش وبنو غانية كان مشجعا لقيام الثورات ورفع راية العصيان من جانب عدد كبير من الولاة كما حدث في قفصة^(٢). وتشير المصادر التاريخية أن السبب الرئيسي لعدم تلبية المنصور لصريخ صلاح الدين هو الوضع العسكري لقوات الموحدين وانشغالها بجهاد النصاري خاصة في جهات غرب الأندلس حيث تقع مملكة البرتغال الناشئة ففي ١٨ رجب ٥٨٥هـ / ١ سبتمبر ١١٨٩ م أحرق (شانجة بن الرنق) بشلب ومساعدته لأساطيل صليبية متجهة إلي الشرق بهدف الاستيلاء علي المدينة التي سقطت في يده يوم ٢ رجب ٥٨٥هـ / ٣ سبتمبر ١١٨٩ م واضطر أهلها إلي الخروج عنها والاتجاه الي مدينة أشبيلية وكان سقوط مدينة شلب في أيدي النصاري قبل سقوط عكا بسنتين. وفي شمال الأندلس أستولي الفونسو الثامن (حكم ١١٥٨ - ١٢١٤ م) في نفس السنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م علي الكثير من المعاقل الإسلامية المتاخمة لبلاده ووصلت قواته إلي أحواز قرطبة أستولي علي حصن قصر المنار وعادت الأندلس كما يقول ابن عذاري (في تهاوش واختلاط والناس في مثل

(١) الطيبي، أمين: "الأغزاز وقنومهم الي بلاد المغرب والأندلس" مجلة البحوث التاريخية، السنة الخامسة، العدد الثاني، ١٩٨٣، ص ٢٩٤. سعد زغول عبد الحميد العلاقات بين صلاح الدين ويعقوب المنصور الموحد، مجلة آداب الأسكندرية، المجلد الخامس، ١٩٤٩ م ص ٩٦. ١٤٥.

(٢) المراكشي: المعجب، ص ٣٩٨.

سم الخياط^(١). أن هذا الوضع الخطير دفع المنصور إلى التحرك إلى بلاد الأندلس فوصلها في ربيع الأول ٥٨٦ هـ / أبريل - مايو ١١٨٠ م.

وقصد المنصور جهات غرب الأندلس مصمما علي استرداد - مدينة شلب، ووضع خطته العسكرية لقطع الأمدادات عن البرتغال بالاتجاه إلى (شنترين) وساننت القوات البحرية القوات البرية غير أنها لم تتجح هذه المرة في استرداد المدينة ولعل هذا بسبب ظهور أسطول رتيشارد في لشبونه وهو مكون من ١٣٠ قطعة بحرية وأتجهت أول سفينة منه لتقديم المساعدة لشنترين ضد قوات الموحدين واضطر المنصور إلى العودة إلى أشبيلية والتخطيط مرة أخرى لاسترداد شلب. وفي هذه الفترة وصلته أنباء وصول عبد الرحمن بن منقذ إلى أفريقية وانتقاله إلى بجاية حيث طلب منه الإقامة بفاس لحين رجوع المنصور. وكان أنشغال المنصور بالجهاد واسترداد شلب سببا لأن يقيم عبد الرحمن بن منقذ عشرين شهرا ينتظر عودة المنصور. وعلي أية حال فإنه في ربيع الأول ٥٨٧ هـ / أبريل ١١٩١ م تحرك المنصور مرة ثانية لاسترداد شلب وفتح في طريقة (قصر أبي دانس) (الميناء الهام في جنوب لشبونه) وفتح حصن بلماله جنوبي لشبونه وحصن المعدن مقابل لشبونه وعندها تأكيد المنصور من مدي فعالية قواته، فاتجه إلى شلب وحاصرها وتمكن من استردادها في ١٥ جمادي الآخر ٥٨٧ هـ / ١٠ يوليو ١١٩١ م - قبل يومين فقط من سقوط عكا في أيدي الصليبيين (سقطت عكا في ١٧ جمادي الآخرة ٥٨٧ هـ / ١٢ يوليو ١١٩١ م) بعد سنتين من إستيلاء ابن الرنق (أستولي عليها في ٢٠ رجب ٥٨٥ هـ / ٣ سبتمبر ١١٨٩ م) ولولا أنشغال المنصور ببني غانية وحلفائهم في أفريقية لحقق نتائج أكثر مما حصل عليه هذه المرة.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ٣ / ص ١٧٦. ويذكر ابن أبي زرع أن المنصور خرج إلى الأندلس عام ٥٨٥ هـ، وأن إستيلاء ابن الرنق علي شلب كان في بداية عام ٥٨٦ هـ. (انظر ابن أبي زرع القاس، الأس المطرب بروض القرطامس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص ٢١٨ - ٢١٩).

ومن هنا يتضح مدى أهمية الأساطيل من أجل مواجهة النصاري في الأندلس وبني غانية في ميورقة. وعاد المنصور إلي أشبيلية التي قضى بها شهرين أتجه بعدها إلي مراكش حيث ألم به المرض الذي أفضى به إلي اختيار أبنه إبي عبد الله محمد الناصر خليفة له علي الرغم من صغر سنه مما أدي إلي قيام بعض أخوته عليه كأبي يحي الذي ولاه المنصور علي الأندلس فدعا لنفسه وما أن وصله خبر شفاء المنصور حتي عبر إلي عدوة المغرب معتذرا إلا أن المنصور لم يغفر له خطأه وأمر بقتله^(١). وهذا معناه أن المنصور كان يعاني في هذه الفترة وضعا داخليا صعبا بالإضافة إلي الأخطار الخارجية المجددة به وفي فترة انتقال المنصور إلي فاس قابل بن منقذ في ٦ محرم ٥٨٨ هـ / ٢٣ يناير ١١٩٢ م بعد اجتماعه مع والي أفريقية وما يقوم به يحي بن غانية وحلفاؤه

فأمره المنصور بالعمل لقطع داء أفريقية الجسيم وملاحقة بني غانية وأمره باغراق العطايا لزعماء القبائل العربية بهدف الوقوف في وجه بني جلدتهم المؤيدين لبني غانية. وكان اجتماع عبد الرحمن بن منقذ علي انفراد بالمنصور أمرا يحمل بعض التساؤل حول محاولة ابن منقذ أن يطوي صفحة الماضي. وعلي أية حال يبدو أن المنصور لم يلب طلب بن منقذ واحالة علي وزرائه للتفاصيل. ولعل أنشغال المنصور بالجهاد في الأندلس وقمع حركات التمرد من أوضح الأسباب وأكثرها منطقية لإعتذار المنصور علي تلبية طلب صلاح الدين، اذ كانت قواته مشغولة في الأندلس بجهاد النصاري وكان عبد الله بن غانية في ميورقة يقدم العون لإخيه يحيي الناصر بافريقية ضد الموحدين مستغلا ظروف الدولة الموحدية وأنشغالها في الأندلس حيث كان المنصور هو الآخر يخوض حربا صليبية فقد أعفي البابا الاسبان من التوجه شرقا مكتفين بمحاربة المسلمين في شبه الجزيرة، بالإضافة إلي الوضع الداخلي الصعب في

(١) ابن عذاري - البيان المغرب ج ٣، ص ١٧٧.

ابن ابي زرع: الأئيس المطرب ص ٢١٩.

دولته وبالفعل فقد صدق حس المنصور في عدم تلبية صريح صلاح الدين، فبعد فترة قصيرة من مغادرة بن منقذ المغرب تلقى المنصور سفارة ملك قشتالة تحمل الكثير من التهديد يفهم منها مدي نيه ملك قشتالة في محاربة المسلمين لا بل أن قوات قشتالة بدأت تعيث فسادا في أراضي المسلمين حتي وصلت أحواز أشبيلية وأستجه. ^(١) هكذا شجعت الأوضاع الداخلية في دولة الموحدين ملك قشتالة علي أن يبعث برسالة تحمل التهديد والوعيد، مما دعا المنصور للأعداد لحملة جديدة ضد النصاري في بلاد الأندلس حيث أنتصر علي ملك قشتالة في معركة الأرك عام ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م. وأستغل يحيى بن غانية فرصه تحرك المنصور إلي الأندلس فاستولي علي طرابلس وقابس بعد طرد والي الموحدين علي قابس (ابن تفرجين). ^(٢) وهكذا أعمي الحقد يحيى بن غانية عن تبصر العواقب من جراء حربه مع الموحدين. وكان الموحدون أنفسهم في بداية أمرهم قد قاموا علي المرابطين في ظروف مماثلة وما كان لذلك من نتائج علي بلاد الأندلس الإسلامية وهكذا فأن مسئولية الخليفة الموحد عن رعيته قبل غيرهم والأهتمام بشئونهم كان السبب الرئيسي فيما يبدو لاعتذاره عن تلبية طلب صلاح الدين وقد عاد بنو غانية الي تجديد أواصر التعاون مع الخلافة العباسية في عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م وشاهد سفير بغداد في أفريقية عبد المنعم بن عبد العزيز يحيى بن غانية وهو يستولي علي تونس عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م وأخيرا يمكن طرح السؤال التالي: إذا كان صلاح الدين علي علم بما يقوم به المنصور الموحد من جهاد ضد النصاري وأنشغال قواته البرية والبحرية في حروب صليبية بالجانب الغربي للبحر المتوسط فلماذا انن طلب مساعدته ؟

(١) أشباح، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٣٢ .

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٩٩، الوزير السراج، محمد بن محمد، الأخبار التونسية، ص ٣٦٠ : ٣٦١ .

ويبدو أن الهيبة التي كان يتمتع بها سلطان الموحدين في المغرب دعت صلاح الدين إلي أن يبعث بصريخة للمنصور كما يفيد بذلك بن جبير بقوله وهو يتحدث عن حملته لؤلؤ الحاجب ضد أرناط صاحب الكرك (فدفع الله عاديته بمراكب عمرت من مصر والأسكندرية دخل فيها الحاجب المعروف بلؤلؤ مع أنجاد المغاربة البحرين^(١)) كما يقول المقرئ عن شهرة البحارة المغاربة (وسائر الفقراء لا يتعرضون إليهم بالقبض للأسطول الإي المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر. وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين: إن كان المغربي غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وإن كان مجردا فقيرا حمل إلي السجن حتي يحين وقت الأسطوال)^(٢) بالإضافة إلي كثرة الأساطيل الموحدية أذا ما قورنت بأسطول صلاح الدين هي التي دفعت لصلاح الدين لاستصراخ المنصور، فضلا عن أهمية الأماكن المقدسة لدي المسلمين جميعا كانت دافعا آخر لذلك.

(١) رحلة ابن جبير، ص ٣٢.

(٢) المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ١١١ - ١١٢.

الخلاصة:

أود أن أشير الي عدة أمور هامة اتضحت لي بعد هذه الدراسة

هي:-

الأمر الأول:-

كان صلاح الدين يعاني وضعا خطيرا من جانب الصليبيين توافدهم من الغرب الأوربي لحصار عكا خاصة حين وصول أبناء الحملة الصليبية " الثالثة " وهذا الوضع جعل صلاح الدين يتجه إلي مراسلة المنصور الموحد يطلب عونه بسبب شهرة البحرية الموحدية. ^(١) ولعل أستعانة صلاح الدين بالأساطيل الموحدية دليل كاف علي أهميتها وشهرتها، ويتضح من الرسالة التي بعث بها الفونسو الثامن للمنصور - رغم ماتحوية من تهكم وتهديد - أهمية البحرية الموحدية حيث طلب منه عددا من قطع أسطوله ليجوزبها البحر إلي المغرب. وقد أشادة عدد من المؤرخين بكفاءة البحارة المغاربة وشجاعتهم في ركوب البحر.

الأمر الثاني:-

ولعل حماس المنصور الديني وأهمية الأماكن المقدسة لدي المسلمين جميعا من بين الأسباب التي جعلت صلاح الدين يبعث بصريخه واستغاثة للمنصور الموحد. ومن المرجح أن تاريخ المراسلات كان في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م بناء علي تحري ابي شامه، وماذكره ابن عذاري، ومشاهدة صاحب (كتاب الأستبصار) لعبد الرحمن بن منقذ رسول صلاح الدين في فاس عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١م، اذ وكانت في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م لما بقي عبد الرحمن بن منقذ كل هذه المدة الطويلة فيما يتعلق برفض المنصور لأستجابة صلاح الدين فأن له مايرره، اذ أن قواته البرية والبحرية كانت مشغولة بجهاد

(١) محمد العروس المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب بيروت ١٩٨٢م ص ٩٨.

النصاري والتصدي لجحافل الصليبيين كما حدث أثناء حصار شلب في رجب ٥٨٥هـ / سبتمبر ١١٨٩م^(١).

الأمر الثالث:-

أنه في فترة وصول بن منقذ إلى أفريقية ٥٨٦ هـ / سبتمبر ١١٩٠ م كان المنصور يقوم بمحاصرة شلب ومحاولة أستردادها من صاحب البرتغال شانجة الأول ولم يتمكن من ذلك في تلك السنة بسبب المساعدات الصليبية، فعاد إليها في بداية عام ٥٨٠ هـ / ١١٩١م وتم أستردادها في ١٥ جمادي الآخرة ٥٨٠ هـ / ١٠ يوليو ١١٩١ م قبل يومين فقط من سقوط عكا في أيدي الصليبيين (١٧ جمادي الآخرة ٥٨٧ هـ / ١٢ يوليو ١١٩١ م) وفي أثناء غياب المنصور في الأندلس، بينما كان الموحدون يتصدون للنصاري، قام بنو غانية وحلفائهم بالاستيلاء على الأطراف الشرقية لدولة الموحدين، وقامت ثورة الجزيري في بلاد المغرب، وأدى كل ذلك إلى إحداث شرخ في الوحدة الوطنية للدولة الموحدية، كما قام الأشل في بلاد الزاب عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م. وفي هذه الفترة أستعاد النصاري قوتهم وأرسل الفونسو الثامن صاحب قشتالة رسالة تهديد للمنصور. وكانت فترة عودة المنصور إلى بلاد المغرب في أواخر عام ٥٨٧ هـ / ١١٨١م فترة خطيرة ليست عليه فحسب بسبب مرضية لا بل وعلي مصير الدولة فقد قام أبو يحيى أخو المنصور في أواخر ٥٨٧ هـ / ١١٨١م بالثورة وحاول البيعة لنفسه. وكان بنو غانية في ميورقة يقفون وراء مايقومه به يحيى بن غانية في أفريقية والمغرب وكذلك

(١) رحلة ابن جبير، ص ٣٢. المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ١١، ١١٢. عبد الهادي التازي: بتاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، ص ٣٨.

كانت صقلية - علي الرغم من عقد اتفاقيات سلام مع الموحدين - تتحين فرصة الانتفاض عليهم. (١)

الأمر الرابع:-

إن هذه المهام التي قامت بها القوات الموحدية حالت دون شك دون تقديم المساعدة لصالح الدين

ويبدو أن عددا كبيرا من المغاربة كانوا بالمشرق وكتبوا تاريخهم هناك حاولوا أن يعتذروا عن تقديم المساعدة، فهذا أبْن خلدون يقول أن المنصور قدم ١٨٠ مركبا لمساعدة صلاح الدين^(٢) وليس لدينا من الدلائل ما يؤيد وكذلك ما أثاره أبْن خلكان من أن قبر المنصور يوجد بمدينة المجلد ببلاد الشام، وما قيل من أن المنصور توفي غازيا في بلاد الاندلس خرافات فيما بيد وتحوي نوعا من الاعتذار.

الأمر الخامس:

أن المنصور الموحد كان محقا فيما ذهب اليه من عدم تقديم المساعدة بسبب الثورات الداخلية والوضع السياسي واستمرار مجابهة النصاري واستمرار بني غانية في الثورة في افريقية وتأيد الخلافة العباسية لهم. ففي عام ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م أستولي يحيى بن غانية علي قابس حينما كان المنصور يواجه النصاري في موقعة الأرك. وبعد سنة واحدة بن غانية علي قابس حينما كان المنصور وذلك عام ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م، وصل عبد البر بن فرسان مرة ثانية إلي بغداد وطلب المساعدة ضد الموحدين وأضفي

(١) رحلة بن جبير: ص ٣٢ المغربي: نفخ الطيب ج ٣ ص ١١٢ عبد الهادي التازي: تاريخ

العلاقات الدولية للملكة المغربية ص ٣٨، سعد زغول: العلاقات بين صلاح الدين وأبي يعقوب

المنصور - مجلة الآداب بالأسكندرية المجلدان السادس والسابع ص ١٩٢٥ م ص ١٦٨

(٢) المراكش: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٨٩.

علي عمله صبغة شرعية. وشاهد سفير الخلافة العباسية بأفريقية عبد المنعم عبد العزيز سقوط تونس في يد يحيى بن غانية عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م.
وهكذا فان المنصور كان محقا في رأيه وأستمرت العلاقات بين الأيوبيين وبنى غانية حتي آخر أيامهم وحتى بعد وفاة صلاح الدين، فلهذا إبراهيم بن اسحاق بن غانية يلتجئ إلي الملك العادل ويتوفي في دمشق. (١)

(١) ابن خلدون: كتاب العبر، ج ٦ ص ٥١٤.

أولاً: المصادر:

- ١- الأدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أدريس الحموي الحسني: صفة المغرب ١٨٨٤ م.
- ٢- الأصفهاني: عماد الدين محمد بن محمد بن جامد: الفتح القسي في الفتح القدسي - تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ م.
- ٣- ابن أبي زرع القاسي، أحمد: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣ م.
- ٤- ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ الجزء ١٢ بيروت ١٩٨٢ م.
- ٥- ابن جبير، محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير بيروت ١٩٧٩ م.
- ٦- ابن خلدون، عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزءان ٥، ٦ بيروت ١٩٥٩ م.
- ٧- -----: المقدمة، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٨- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الاعيان وأبناء الزمان تحقيق أحسان عباس، بيروت ١٩٧١ م.
- ٩- ابن سعيد، أبو الحسين علي الأندلس: المغرب في حلي المغرب، القسم الخاص بالمغرب، تحقيق ذكي محمد حسن وآخرين، القاهرة ١٩٥٣ م.
- ١٠- ابن شداد، بهاء الدين: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية وتحقيق جمال الدين الشيال، الإسكندرية ١٩٦٤ م.
- ١١- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك: تاريخ المن بالأمامة، الجزء الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٤ م.
- ١٢- ابن عذاري، أبو العباس أحمد: البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، القسم الثالث (الخاص بالموحدين)، نشره هويتسي ميرانرا مع مساهمة محمد بن تاويت الطنجي ومحمد الكتاني، تطوان ١٩٦٠ م.
- ١٣- ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيرزي: كتاب الاعتبار، حرره فليب حتي، برنستون ١٩٣٠ م.

- ١٤- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - نشره جمال الدين الشبال، المطبعة الاميرية، القاهرة ١٩٥٧ م.
- ١٥- أبو الفداء: تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠.
- ١٦- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الدورية والصلاحية، الجزء ٢، بيروت بدون تاريخ.
- ١٧- الحميري، محمد بن عبد المنعم: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق أحسان عباس، بيروت ١٩٧٥ م.
- ١٨- السراج محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ١، ٤ - تحقيق محمد الحبيب الهيلة - تونس، الدار التونسية - ١٩٧٠ م.
- ١٩- السلاوي، أبو العباس أحمد: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الجزء ٢، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٤ م.
- ٢٠- الغبريني، أحمد بن أحمد: عنوان بمن عرف العطاء في المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهص، بيروت ١٩٧٩.
- ٢١- الغرناطي، الشريف: رفع الحجب المستورة في محاسن المنصورة ج ٢، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٤ م.
- ٢٢- الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي: بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، مدريد ١٨٨٤ م.
- ٢٣- القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الأجزاء ٦، ٧، ١٠، ١٣، مصر بدون تاريخ.
- ٢٤- المراكش، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء ١٩٧٨ م.
- ٢٥- المقرئ، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب الأجزاء ١، ٣، ٤، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩ م.
- ٢٦- المقرئ، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول القسم الأول، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مصر ١٩٥٦.

- ٢٧- الوزير السراج، محمد بن محمد: الحلل السندسية في الأخبار التونسية الجزء الأول، القسم الثاني، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٧٠.
- ٢٨- الأيوبي: محمد نقي الدين بن عمر: مضمار الحقائق وسر الخلاق تحقيق حسن حبشني، مصر ١٩٨٦.

ثانيا المراجع:

أ) المراجع العربية والمعرية:

١. أحمد، عزيز: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨٠م.
٢. أشباح، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨٥م.
٣. التازي، عبد الهادي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية المغرب ١٩٨٥ م
٤. سالم، السيد عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت ١٩٦٩م.
٥. سالم، عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير الجزء ٢، العصر الإسلامية، دار النهضة العربية ١٩٨١ م
٦. سسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) بيروت ١٩٨٤م.
٧. الصحراوي، عبد القادر: جولات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء ١٩٦١ م.
٨. العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية.
٩. عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية الجزء ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة التاسعة ٢٠١٠ م.
١٠. العريني، السيد السباز: الشرق الادبي في العصور الوسطي (الايوبيون)، بيروت ١٩٦٧م
١١. عمران، محمود سعيد: تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٧م.

١٢. عز الدين، عمر بن أحمد: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣ م.
١٣. كنون، عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، بيروت ١٩٦١ م.
١٤. المطوي، محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب بيروت ١٩٨٢ م.
١٥. النشار، محمد محمود: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

الدوريات:-

- ١- الطيبي أمين: مدينة الأشبونة الإسلامية حتي سقوطها في أيدي الصليبيين - مجلة كلية التربية - جامعة الفاتح - طرابلس ١٩٧٩ م.
- ٢- الأغزاز وقدمهم إلي بلاد المغرب والأندلس مجلة البحوث التاريخية السنة الخامسة العدد ٢ طرابلس ١٩٨٣ م.
- ٣- عبد الحميد، سعد زغلول: العلاقات بين صلاح الدين وأبو يوسف يعقوب المنصور - مجلة كلية الآداب جامعة الأسكندرية المجلدان السادس، والسابع ١٩٥٢. ١٩٥٣ م.
- ٤- القابسي، نجاح (المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب الغربي) مجلة كلية التربية بجامعة الفاتح العدد ١٤ طرابلس ١٩٨٠، ١٩٨١ م